الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

الموضوع:

# الرؤية الاسلامية للآخر عند مالك بن نبي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الفلسفة

إعداد الطالبة

بوعافية ربح

إشراف الأستاذ:

د. حميدي لخضر

السنة الجامعية : (2020/2019)

# الإهداء

إلى من ساندتني صلاتها ودعائها

إلى من سهرت الليالي تنير دربي

إلى نبع العطف والحنان أمي

إلى من علمني أن الدنيا كفاح

وسلاحها العلم والمعرفة

إلى من سعى لأجل راحتي ونجاحي أبي العزيز

إلى مشرفي ومرشدي حميدي لخضر

إلى إخوتي سندي وعضدي ومشاطري أفراحي

إلى حبيبة قلبي أختي دعاء وصبرينة وحياة وأخوتي ساعد وعزالدين

إلى روح عمي وجدي رحمهما الله

إلى كبيرة المقام ذات السيرة العطرة جدتي الغالية

إلى رمز الوفاء صديقتي حنان، ودلال

إلى كل زملائي وزميلاتي في قسم الفلسفة

إلى كل من يحبني بصدق وإخلاص

# مقدمة

**مقدمة:**

إن جدل الأنا والآخر من أهم المشكلات التي طرحت في العصر المعاصر، حيث تمثل هذا الجدل في مواجهة بين الأنا التي تمثل الذات العربية الإسلامية بكل ما تنطوي عليه هذه الذات من عناصر التاريخ، والثقافة، والدين والأخلاق والآخر الغربي الذي يمثل القوة والتقدم صاحب نهضة وحضارة، وازدهار، فشكل هذا صراعا بين الأنا والآخر بين عالم عربي إسلامي مشتت وفاسد اجتماعيا وسياسيا ودينيا، تأكل جسمه جميع أعراض الضعف والتخلف، وتنخر روحه هزيمة الإرادة والشعور، وعالم غربي متفوق عليه في شتى المجالات، وفي ظل هذا الصراع القائم بين الأنا والآخر، جاء مالك بن نبي لإصلاح هذا الصراع في تقديم الحلول لمشكلات العالم، الاسلامي والنهوض بهذه الأنا حضاريا، وفق نظرة إسلامية بحتة ومنه نستنتج الإشكالية التالية:

- كيف ينظر مالك بن نبي للآخر وما طبيعة العلاقة بينهما؟
- وما هو موقفه من هذا الأخر؟

وتترتب عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات الفرعية وهي:

- ماكنه هذا التواصل بيننا وبين الآخر عند مالك بن نبي؟
- ما هو السبيل للنهوض بالأمة الإسلامية؟

ولحل هذه الإشكالية وضعت خطة مفصلة تتكون من مقدمة وثلاث فصول وخاتمة ففي المقدمة تطرقت إلى تمهيد حول الجدل القائم بين الأنا والآخر، والصراع بينهما ثم إشكالية البحث، أما عن الفصل الأول فكان بعنوان مدخل مفاهيمي، حيث اندرج تحته مبحثين المبحث الأول جاء بعنوان حول مفهوم الأنا والآخر، والمبحث الثاني تحت عنوان الأنا والآخر عند مالك بن نبي، أما الفصل الثاني فكان بعنوان البناء الحضاري، عند كل من مالك بن نبي وروجيه غارودي واندرج تحته ثلاث مباحث، المبحث الأول كان بعنوان موقف مالك بن نبي من صراع الحضارات، أما المبحث الثاني فجاء تحت عنوان موقف

روجيه غارودي من حوار الحضارات، أما المبحث الثالث فجاء بعنوان البناء النهضوي عند مالك بن نبي، أما الفصل الثالث فكان بعنوان منظور مالك بن نبي للاستشراق وفكرة القابلية للاستعمار، واندرج تحته ثلاث مباحث، المحث الأول كان بعنوان موقف مالك بن نبي من القابلية للاستعمار، أما المبحث الثاني فجاء بعنوان مالك بن نبي وموقفه من الاستشراق، أما المبحث الأخير فجاء بعنوان مالك بن نبي وقومه.

أما في الخاتمة فتوصلت فيها إلى أهم النتائج المستخلصة وحل الاشكالية المطروحة في المقدمة.

ومن الأسباب التي جعلتني أختار هذا الموضوع:

**أ- أسباب ذاتية:**

- ميولي الشخصي لتناول دراسة فكر مالك بن نبي الذي يعتبر أحد أعلام الفكر الإسلامي المعاصر ومدرسته انتهجت نهجا متميزا في ما قدمه للعالم من أفكار حللت مشكلات العالم الاسلامي.

- الاعجاب بشخصية مالك بن نبي الفذة التي شرف الجزائر بفكره.

- الاعجاب بأفكار وشخصية المفكر مالك بن نبي الذي مازال يجهله الكثير من أبناء جيلنا بسبب التهميش الذي لقيته هذه الشخصية في بلده الجزائر.

**ب- أسباب موضوعية:**

- عرض الصراع بين الأنا والآخر.

- عرض المشروع البنيوي الذي قدم فيه معالجة لواقع الأمة الاسلامية.

- أهمية الحوار مع الآخر لبناء حضارة قوية ومن أجل دراسة هذا البحث اعتمدت على المنهج التحليلي في تحليل آراء و أفكار مالك بن نبي الغامضة لتبسيطها.

ومن الصعوبات التي وجهتني صعوبة منهجية الكتابة عند مالك بن نبي تميزت جل كتاباته بأسلوب صعب يغلب عليه الغموض والابهام، مما استلزم القراءة المتعددة لفهم ما وراء السطور وما يهدف إليه مالك بن نبي.

وفي الأخير أتمنى أن أكون قد وفقت في إنجاز هذا العمل الذي حاولت فيه قصارى جهدي لفهم لغة مالك بن نبي والوصول إلى أبرز نتائجه التي يسعى إلى تحقيقها مستندة في ذلك إلى مشرفي الدكتور حميدي لخضر الذي ساهم بكل ما يملكه لإكمال هذا البحث.

# الفصل الأول:

## مدخل مفاهيمي

المبحث الأول: حول مفهوم الأنا والآخر

أولا: مفهوم الأنا

ثانيا: مفهوم الآخر

المبحث الثاني: الأنا والآخر عند مالك بن نبي

أولا: معنى الأنا عند مالك بن نبي

ثانيا: معنى الآخر عند مالك بن نبي

ثالثا: العلاقة بين الأنا والآخر

مدخل:

إن مشكلة الأنا والآخر من أهم المشكلات التي ظلت تؤرق الكثير من الفلاسفة وعلماء اجتماع وعلماء النفس و أدباء قديما وحديثا والحديث عن هذا الجدل القائم بين الأنا والآخر حديث عن صراع وجدل قديم قدم الوجود البشري، فقد استقطبت تفكير العديد من الفلاسفة المعاصرين ومن هؤلاء المفكر الجزائري (فيلسوف الحضارة) مالك بن نبي الذي كانت له رؤية متميزة وواسعة للأنا والآخر لأن طبيعة الثقافة الإسلامية العربية، التي انطلقت تبحث عن الأنا وتتعرف عليها وعلى طبيعتها من خلال وجودها وإدراكها المستمر لكونها حلقة في تطور الذات الإنسانية، ولم تستطع الثقافة العربية و لا الغربية ان تستقر على تحديد مفهوم دقيق للأنا والأخر نظر الاشاع معاني ومرامي المفهومين وغموض دلالتهما، ولقد كان الفلاسفة الغربيين من السابقين لمعالجة هذه المشكلة لآن الإنسان اجتماعي بطبعه، فهو يعيش في مجتمع يدخل في علاقات مع أفراده ويتعاون مع الآخر، ليكون معنى علاقات اجتماعية لآن الطبيعة الإنسانية تفرض عليه ذلك، ولا يمكن الحدث عن الأنا دون الحديث عن الأخر، فاستخدام أي منها يستدعي حضور الأخر تلقائيا، ولقد اختلفت هذه التفسيرات لمفهوم الأنا والأخر، وهذه المشكلة لم تكن محل اتفاق الكثير من الفلاسفة والباحثين، فمنهم من اتبر الأنا ضروري للأخر ولا تستقيم حياتهما إلا بالتآزر بينهما ومن اعتبر أنه غير ضروري ويمكن الاستغناء عنه ومن هنا تطور الأهمية البالغة لهذا الموضوع خاصة الآن في زمن العولمة حيث أصبح العالم قرية صغيرة وانبثق عن ذلك مشكلات رئيسة تمثلت في:

- ما طبيعة العلاقة بين الأنا والآخر؟
- وكيف عرف مالك بن نبي الأنا والآخر؟
- وكيف نظر مالك بن نبي إلى هذه العلاقة؟

**تمهيد:**

إن مفهوم الأنا والآخر متعدد المعاني ومختلف باختلاف وجهات النظر والرؤى الباحثين فلتقيا هو له تتضح صورة الأنا والآخر من خلال الفلاسفة في المعالم والقواميس والكتب، والمجلات.

أولا: مفهوم الأنا

**1- لغة:**

إن المتبع لمصطلح الأنا يجد عدة مفاهيم وتعاريف ومفردات فلقد ورد هذا المفهوم في العديد من المعاجم حيث نجد الرازي يعرفه بقوله «أنا ضمير المتكلم والألف الأخيرة فيه إنما لبيان الحركة والوقف فإن مضيت عليها سقطت كقولك أنا فعلت» [1]

ويعني أن الأنا تستعمل كضمير متكلم، كما نجد للأنا تعريف آخر يعرفه مراد وهبة «ضمير المتكلم الواحدة وهو تعبير عن النفس الواعية لذاتها»[2]

ويقصد بهذا القول أن الأنا هو تعبير عن النفس أو الذات ويطلق ضمير المتكلم عن النفس الواحدة المفردة التي هي عكس المجموع، والنفس تعي ذاتها وما يجري فيها وما يصدر منها: أي أن الوعي ميزة جوهرية فيها، وهو الأساس لمعرفة ذاتها وهو المبدأ الوحيد للأنا، وأن الذات هي نفسها التي تنعكس على نفسها في معرفة أحوالها ونجد أيضا للأنا عدة تعاريف أخرى تبين معناها، وتزيد في وضوحها، فنجد تعريف آخر « لفظ أنا في اللغة العربية اسم للمتكلم وحده لا تثنية له من لفظ أما "إني" فتثنية "إنا"»[3]

ويقصد بهذا القول أن الأنا واحدة لا مثنى لها وهذا دليل على أن الذات واحدة، والأنا جوهر لا يقبل الانقسام وهو ضمير للإشارة، للنفس المدركة وهي جوهر الذات، ويعرفه إن

[1] – جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان ، [د.ط]، 1980، ج 1، ص 139.

[2] – مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار فياء الحديثة، القاهرة، مصر، [د.ط]، 2007، ص 95.

[3] – السيد عمر، الأنا والآخر من منظور قرآني تحرير:منى أبو الفضل ونادية محمود، دار الفكر، مثق سوريا، ط 1، 2008، ، ص 132.

منظور «إن كلمة أنا هو اسم مكنى للمتكلم وحده وإنما يبنى على الفتح فرقا بينه وبين أن حرف نا حب للفعل والألف الأخيرة إنما هي لبيان معرفة الحركة في الوقف»[1] ويقصد من قوله أن الأنا تستعمل كضمير المتكلم ي أنه دال على الذات الإنسانية المتكلمة ولا يخرج عن هذا المعنى إذا جاء مفتوحا للتفريق بينه وبين أداة نصب.

**2- اصطلاحا:**

أما في المعنى الاصطلاحي فنجد تعريف "لمراد وهبة" يقول فيه «هو الذات التي ترد إليها أفعال الشعور جميعها وجدانية كانت أو عقلية أو إرادية، وهو دائما واحد مطابق لنفسه وليس من اليسر وخله عن أعراضه ويقابل الآخر والعالم الخارجي، ويحاول فرض نفسه على الأخرين وهو أساس الحساب والمسؤولية»[2] يقصد به الأنا هي مركز الشعور والادراك الحسي للعمليات العقلية وهو أيضا بمثابة المحرك لأفعالنا الإرادية فمثلا الطفل الصغير يعرف خطر اللعب بالنار عندما تحرقه المرة الأولى، ومعناه أن الشعور كاف لفهم الذات وفهم ما يحدث، والأنا تقابل الآخر وتقابل كل ما هو خارج عنها ويتضح لنا أيضا هي النفس ولا يمكن فصلها عن أعراض الفرد البشرية وهي تقابل العالم الذي هو موضوع لها وهي المسؤولية عن أفعال الإنسان وهي الأنا التي تحاسب الإنسان لأن الأنا هي أي صورة تكونها من نفسها مهما كانت إيجابية أو حتى سلبية، وهي بمثابة ذرع الذي يفصل الأنا على العالم الخارجي.

**أ- مفهوم الأنا من المنظور الفلسفي:**

نجد من بين الفلاسفة الذين تناولوا مشكلة الأنا أبو الفلسفة الحديثة (رنيه ديكارت) الذي يعبر من أهم فلاسفة القرن 17 عشر، فلقد أعطى مفهوما للأنا عن طريق مقولته الشهيرة الكوجيتو « أنا أفكر إذن أنا موجود»[3] والمقصود بها لا يمكن أن لا أكون موجود وأنا لا أفكر وقد بدأهما ديكارت بأنا لإثبات وجوده أيأن الأنا هي التي تثبت وجود الإنسان، وأنا

[1]- ابن منظور ، لسان العرف، دار المعارف النيل/ قاهرة، مصر،[د.ط]، [د.س]، ج 1، ص 160.

[2] - مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار فياء الحديثة، القاهرة، مصر، [د.ط]، 2007، ص 95.

[3] - نجيب البلدي، ديكارت، سلسلة نوابغ الفكر العربي، دار المعارف، مصر، ط2، 1968، ص 198.

التفكير يحصل في الذات ولا يمكن التسليم بحصول التفكير إلا بوجود الذات نفسها، وأن التفكير دليل على بوجود الإنسان، والوجود لدى ديكارت هو الأفكار وهو ادراك الذات المفكرة وحجة ديكارت تضع التفكير في جوهر الوجود وتجعله الصفة الإنسانية للوجود، وحاول ديكارت أن يجعل الأنا مجال المعرفة الجوهري، فقط ربط بين الأنا فكر والأنا وجودا وفي الحديث عن الوجود في الفلسفة الوجودية نجد الفيلسوف والروائي "جان بول سارتر" الذي بدوره أدلى بدلوه في إشكالية الأنا والأخر فقد عرف الأنا «الأنا ذاته وليس لذاته وهو من الوعي»[1] يقصد بها سارتر أن الذات تتعرف مباشرة على نفسها بوعيها والوعي هو الذي يحدد معرفة الذات كون الإنسان يتميز عن غيره من الكائنات الحية، بأنه راع لأفعاله صفة الوجود في ذاته من عواطف وأفكار، وبالوعي تتحقق صفة الوجود الفعلي والحقيقي للإنسان، ونجد الألماني (مارتن هايدغر) أيضا من الفلاسفة الذين شغلتهم مسألة الأنا فيقول «الوجود في جوهر وأصله وجودي أنا، أنا الذات المفردة»[2]

ويقصد به "هايدغر" أن الوجود جوهر للأنا المفردة الواحدة ولا ننسى فضل الفلاسفة والمفكرين الذين أسهموا في هذه الدراسة في هذا الصدد نجد المفكر المغربي "محمد عابد الجابري" الذي كان له زاد كبير في الفكر وكان له فضل كبير على الفلسفة بسب تحليلاته العميقة فقد عرف الأنا «الأنا تتحدد عبر الآخر»[3]

أي أن الآخر ضروري للأنا من أجل إثبات وجودها، وبالأخر نستطيع أن نحدد الأنا، أي الأخر مقابل الأنا وبمعنى أننا نجد ذاتنا ونفهمها ونفسر اختلاجاتنا المتنوعة من خلال فهمنا للأخر، والأخر شرط ضروري للأنا فهي قضية الاجتماع والإنسانية.

[1] – جان بول سارتر، الكينونة، العدم، بحث في الأنطولوجيا الفيمولوجية، تر: نقولا متيني المنظمة، العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص 164.

[2] – عبد الرحمان بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط) (د.س)، ص 23.

[3] – محمد عابد الجابري، مسألة الهدية والعروبة والاسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط4، 2012، ص 91.

**ب- من المنظور النفسي:**

اهتم علماء النفس بموضوع النفس الإنسانية بما فيها من غموض وتنوع، واعتبرت الذات جوهر الدراسات وطبيعة علاقتها بالأخر فاتجه علماء النفس بدراسة الأنا وما تحمله من تجليات وفي الحديث عن الأنا لا يمكن إنكار الدور الذي أداه الطبيب النمساوي والفيلسوف "سيغموند فرويد" الذي عرف الأنا سندا لقوله « الأنا هو ذلك القسم من الهو الذي تعدل نتيجة تأثير العالم الخارجي فيه تأثيرا مباشرا بواسطة جهاز الادراك الحسي» ليستعمل "فرويد" مصطلح الأنا بذل الذات ويربط بمنطقة اللاشعور الهو الذي تتراكم فيه رغبات الإنسان المكبوتة ونوازغه لتظهر إلى المحيط الخارجي نتيجة تأثير عوامل خارجية هذه الأنا تقوم بتعديل رغبات الإنسان والنفس مقدمة إلى ثلاث أقسام الأنا وهي منطقة معدلة والأنا الأعلى مجموع أخلاق ومبادئ المجمع والهو مصدر الرغبات المكبوتة والنوازغ والرغبات الجنسية، والآنا كما وصفها فرويد هي شخصية المرء في أكثر حالاتها اعتدالا بينها وبين الهو، والآنا تقوم بإشباع الغرائز التي تطلبها الهو والأنا يعمل كوسيط بين العالم الخارجي والهو وهو مركز الشعور وجهاز الادراك الحسي هو الذي يستقبل المؤثرات الخارجية بمعنى آخر هو وسيلة الفرد للحصول على المعرفة والتكيف معها فيدرك مثلا الفرد أن الصوت الذي يسعمه هو صوت أخيه، والهو يشبه ذلك الوعاء الذي يحتوي على جمع رغباتنا والذي تقوده بتهور يسميها فرويد Libido ونجد تعريف آخر لجورج جردوك « الأنا إنما هو جميع مراحل الحياة سلوك سلبي في أساسه وأننا نعيش كما يقول مدفوعين ليقوي غير معروفة ولا يمكن اخضاعها لسلطتنا»[1]

بمعنى أن الأنا هي التي تتحكم في سلوكاتنا وهي التي تتحكم أيضا في دوافعنا ومشاعرنا، ولا نستطيع التحكم بها ولا نستطيع اخضاعها لرغباتنا وكأننا مرغومين.

**ج- الأنا من المنظور القرآني:**

[1] – سيغموند فرويد، الأنا الهو، ص 40.

لقد ورد مفهوم الأنا في القرآن الكريم في سورة مريم « قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا»[1] مريم واستعملت هنا كضمير متكلم.

كما ورد لفظ الأنا على لسان الرسل في القرآن ليبين علاقتهم بالله عزو جل وباقي الموجودات ليبينوا أنهم شاكرون ومسبحون بحمده جل جلاله.

« نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»[2] تشير هذه الآية على العلاقة بين الخالق ومخلوقاته كما تبين عظمته تعلى ورحمته الواسعة باعتباره الأنا التي تسير المخلوقات وتحاسبها.

**ثانيا: الآخر**

**1- لغة:**

ورد مفهوم الأخر في معجم النفائس «الأخر هو الأشد تأخرا في الذكر، ثم أجري مجرى غير وهو خاص بجنس ما تقدمه فلو قلت جاء في رجل وأخر معه لم يكن الأخر، إلا من جنس الرجل بخلاف غير فإنها تقع على المغايرة مطلق في حين أو بصفة ج أخرون ومؤنثة أخرى وأُخراة ج أُخريات وأُخر»[3]

ويقصد به أن صفة الآخر نقولها للإشارة إلى الرجل وآخرون للجمع وأخرى للدلالة على صفة مؤنثة.

كما جاء لفظ الآخر في لسان العرب بمعنى «أحد الشيئين وهو إسم على أفعل، والآخر بمعنى غير كقولك رجل آخر وثوب آخر وأصله أفعل من التأخر فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استثقلتا فأبدلت الثانية أولها سكونها وانفتاح الأولى ويقال هذا آخر وهذه أخرى في التنكير والتأنيث»[4]

---

[1]- سورة مريم الآية 19.

[2] - سورة الحجر الآية 19.

[3] - أحمد أبو حاقة، معجم النفائس الكبير، دار النفائس، بيروت، لبنان/ ط1، 2007، ص 20.

[4] - ابن منظور ، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 2006، ج1، ص 65.

ويقصد به أن الأخر يعني الغير فهو نقيض الأنا ومأخوذ من الفعل أفعل للدلالة على التأخير وحسب ابن منظور الشيء الغامض الغير متعارف عليه

ويوجد تعريف آخر في المعجم الوسيط «الآخر أحد الشيئين ويكونان من حين واحد قال المتنبي ودع كل صوت غير صوتي فإنني أنا الصالح المحكى والآخر الصدى»[1]

ويقصد بالأخر هو شيء واحد متمثل في شيئين متجسد في صورتين ويبين مثال المتبني أن الآخر هو مقابل الأنا.

**2- اصطلاحا**

أما من الناحية الاصطلاحية فنجد للأخر الكثير من المفاهيم فقد عرف مراد وهبة الأخر « الغير AUTRE هو أحد لتطورات الفكر الأساسية به ما سوى الشيء مما هو مختلف أو متميز»[2]

ويقصد به أن الأخر فكرة يتصورها الإنسان حول الشيء المقابل لشيء آخر وهو كل ما هو مختلف ومتميز عن غيره كما يعرفه لالاند «الغير مقابل اللفظ "أنا" فكل ما كان موجودا خارج الذات المدركة أو مستقلا عنها كان غيرها ونحن نطلق على الشيء الموجود خارج الأنا اسم اللاأنا أو الآخر فالأنا إذن هو الذات المفكرة، والموضوع الخارجي هو الآخر»[3] ويعني أن الأخر هو كل ما يقابل الأنا، أي كل ما هو ليس أنا ويتم ادراك الذات عبر الآخر، وبالتفاعل معه إن الأنا في مدلوله الفلسفي هو الذات المفكرة، الذات التي تعني ذاتها شكل مباشر عبر الوعي والفكر، وكل ما يخرج عن هذه الذات هو آخر بالنسبة لها ومعرفة الذات تتوقف على وجود الغير، أن أن الغير عنصر أساسي لا غنى عنه، فالأخر ضروري لوجود الذات مادام الإنسان يعيش في علاقة معه.

[1] – مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004، ص8.

[2] – مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار فياء الحديثة، القاهرة، مصر، (د.ط)، 2007، ص ص 449- 450.

[3] – جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان ، [د.ط]، 1980، ج 2، ص 131.

### أ- مفهوم الأخر من المنظور الفلسفي:

مصطلح الأخر مصطلح ولد في الغرب وكان وجوده هناك مسبوقا بوجود مصطلح الأنا وتختلف نظرتهم للأخر ومن بين الذين شغفوا لمصطلح الأخر جان بول سارتر فقد عرفه سندا لقوله «الغير هو من ليس إياي ومن لست أنا إياه»[1] ونفهم من هذا القول أن الغير هو الأخر المقابل للأنا، أي أنه أنا أخرى لكنها ليست نفس أناي، لآن كل منها يختلف ويتميز عن الآخر، فالنسبة لي أنا الآخر خارج عن أناي، والعكس فالنسبة له اعتبر أنا أخر وبالتالي كل أنا رافضة لأن لكون هي الآخر وكل من الأنا والأخر يحاول أن يؤسس ذاته باعتبار الآخر كموضوع لها، لذا فالصراع بين كل منهما قائم و لا ينتهي فالأنا تجعل الغير هو الوسيط الضروري بيني أنا وبين نفسي، وتجعل الآخر موضوعا ليفرض ذاتيها والأخر أيضا يجعل من الأنا موضوعا ليفرض ذاته، وصفات الموضوع أن يكون ذاتا، وإذا فقدت هذه الصفة وأصبحت موضوعا لن يصبح أنا أي يفقد صفته الذات فيف، وتعريف سارتر للغير بأنه الذي ليس أناي قد أكد على وجود غير الأنا وهو الأخر، ويعرفه لينافس الغير «هو وعاء يشمل متناقضات عديدة منها ما هو ذاتي ومنها ما هو موضوعي منها ما هو نظري مجرد ومنها ما هو اجتماعي تاريخي وأخلاقي أيضا»[2] إذن إن أساس العلاقة بين الأنا والغير عند ليفيناس هي الأخلاق التي تتجاوز كل تحديد أنطولوجي وهي علاقة مبنية على الاحتواء الإتيفي الأخلاقي، والغير هو ذلك الذي أشعر اتجاهه بالمسؤولية الأخلاقية ولأنه ليس وجودي أنطولوجي وإنما وجود أخلاقي يشعرني بالمسؤولية اتجاهه، والعلاقة مع الآخر هي علاقة اجتماعية وهو يدعونا إلى الانفتاح على الآخر واحترامه، إن صميم العلاقة مع الآخر هي التي تميز حياتنا الاجتماعية، والغير وعاء للأنا وفق كل المجالات الإنسانية، ويدعونا ليفيناس إلى فكرة مهمة وهي أن الآخر يمتاز بطابع شمولي حيث

[1] – جان بول سارتر، الوجود والعدم في الأنطولوجيا الظاهراتية، دار الأدب، بيروت، لبنان، ط1، 1966، ص 393.

[2] – بودريكور، بعد طول تأمل ترجمة فؤاد مليت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص 13.

ينطوي على متناقضات، فهو تارة يكون ذاتي، وتارة أخرى متفاعل اجتماعي، حاول ليفيناس أن يحرر الأنا من وهم الانانية التي تسحب الإنسانية في دائرة الخوف من الآخر، سيطول بنا الحديث لو أننا أخذنا نتبع مفهوم الآخر في الفكر الغربي، فمن الغرب وحل هذا المصطلح للعرب، ومن بين الذين خاضو في هذه المسلة نجد الجابري، باعتبار نحن المسلمون تمثل الأنا والآخر عندنا هم الغرب بوجه عام أسواء كانو مسيحين أو يهوديين أو علمانيين، أو غير ذي دين فحيث ما ورد الحديث عن الأنا والآخر فهو بالضرورة حول علاقة المسلم العربي بالغربي، فقد عرفه كما قنا سابقا الجابري بقوله «مفهوم الأخر مفهوم منطقي مرتبط بمفهوم الهوية في الفلسفة اليونانية أما الآخر بالمفهوم العام فهو مفهوم إيديولوجي»[1] أي أن الآخر كان مرتبطا بالهوية في الفلسفة اليونانية وفي العصر المعاصر والمرتبط بالايديولوجيا أي بعد الحرب العالمية الثانية، كما يعرفه حسن حنفي بقوله «الأنا مرجع تاريخي للآخر»[2] ويقصد أن التاريخ هو الذي يحق لنا الأنا وبواسطة الأنا نكشف الآخر والأخر هو الذي يظهر لنا ويعتبر حنفي أيضا أن الأنا إطار جغرافي للآخر

**ب- من النظور النفسي:**

لقد اهتم علماء النفس كغيرهم بالآخر، لأن الإنسان بحاجة دائمة إلى التعامل مع الآخرين والتعرف عليهم لإشباع حاجاته الاجتماعية الطبيعة وهذا لا يأتي إلا عن طريق مهارات التواصل التي يمتلكها الخاطب، كما قلنا الغير أو الآخر مصطلح نفسي، ومعرفته تعين على معرفة النفس، ومن ذلك قول الفيلسوف والعالم النفساني أندرية جيد « إن أفضل وسيلة لمعرفة النفس هي أن تسعى لمعرفة الغير»[3] أي أن معرفة الذات تتوقف على وجود الغير باعتباره الطرف المقابل الموجود خارج عنا، والإنسان لا يمكن أن يدرك نفسه من

[1] – نعيمة حاج عبد الرحمان، لقاء مع محمد عابد الجابري، مجلة أيس العدد2 سداسي1، 2007، البلد،/ ص65.

[2] – الجمعية العربية لعلم الاجتماع، صورة الآخر العربي ناظر ومنظورا إليه تحرير طاهر لبيب مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 1999، ص190.

[3] – رحيم أبو رغيف الموسوي، الدليل الشامل، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ج2، ص 349.

خلال التفاعل الذي يحصل بينه وبين الآخرين، هذا الآخر الذي يواجهنا ويجدر أحكامنا علينا هو الذي يدفعنا إلى ادراك ذواتنا والتفكير في أنفسنا

**ب/ الأخر من المنظور القرآني:**

وردت كلمة الأخر في القرآن الكريم عدة مرات نجدها في سورة يوسف « وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ»[1] يوسف 36 وهذا تعبير على الآخر الذي هو غير أناي.

وكذلك نجد نموذج الأخوين قابيل وهابين أخوان أحدهما صالح والآخر طالح قال تعالى «وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ»[2] المائدة "27"

يبين اله تعالي العواقب الوخيمة للبغي والحسد والظلم في خير بني آدم لحلب وهما قابيل وهابل، وكيف عذا أحدهما على الآخر فقتله بغيا عليه وحسدا له وهذا دليل على وجود الآخر وعظته ولم يكن بهذه الأهمية لما ذكره عز وجل، كانت هذه بعض الشواهد التي ذكر فيها لفظة الآخر في القرآن فهو يحدثنا على احترام الأخر مهما اختلفنا معه.

**المبحث الثاني: الأنا والآخر عند مالك بن نبي**

سؤال الأنا والآخر أحد أكثر الأسئلة إلحاحا في الفكر العربي الإسلامي، وقد شكل أزمة عميقة ولدت قلقا عظيما، والمجتمع العربي منذ سنوات يمر بهذه الأزمة فزادت هذه المشكلة الكبيرة بعد ما يسمى بالربيع العربي، وبدأ بطرح أسئلة ملحة من أنا؟ ومهاي علاقتي بالآخر؟ ولا يمكن أن نتحدث عن الفكر العربي دون أن نتحدث على المفكر المبدع الجزائري مالك بن نبي الذي يعد واحدا من أبرز هؤلاء المفكرين الذين يحتاجون إلى أبحاث تميط اللثام عن أعمالهم القيمة لا سيما تلك التي لها طابع فلسفي، فنجد كل كتبه تتحدث عن الأنا

[1] – سورة يوسف الآية 36.

[2] – سورة المائدة الآية 27.

وعن الآخر، لأنه أعطى أهمية بالغة لهم وفهم أصل المشكل وحاول تقديم بعض الحلول لتوفيق بين الأنا والأخر فدرس هذه المشكلة وانطلق في دراسته من المجمع العربي الإسلامي وحولا إلى الغرب الذي يمثل الآخر

**أولا: مفهوم الأنا:**

الدارس لفكر مالك بن نبي يكتشف لا محالة أنه دون معاصريه من المفكرين المسلمين أولى اهتماما كبيرا وعميقا للإنسان المسلم، وتابع همومه وحلل أبعاد الظواهر والمشكلات التي تحيط به، مقترحا الحلول في إطار إسلامي واضح ونتحصر الأنا عنده في الأنا الإسلامية أي عندما يتحدث مالك بن نبي عن الأنا فإنه يقصد بها الأنا العربية الإسلامية فقد تحدث كثيرا عن هذا العنصر وعن سلوك الفرد المسلم في الكثير من كتبه، وعن دور المسلم في المجتمع ومن مؤلفاته التي وصفت حال الإنسان المسلم روايته الشهيرة لبيك حج الفقراء التي تدور أحداثها في مدينة عنابة في فترة الاستعمار الفرنسي بالجزائر، فالعم محمد والطفل هادي والسكير ابراهيم وزوجته هم أبطال هذه الرواية الذين يمثلون الشعب الجزائري المسلم بكل فئاته يقول مالك بن نبي «لقد كان إبراهيم على سوء تعرجات حياته يحافظ على الروح الصوفية التي ورثها عن السلالة الصالحة لأسلافه»[1]. أي كما قنا سابقا أن ابراهيم كان سكيرا ودائما مخمورا ويعامل زوجته بوحشية وكما معروف عندنا الإنسان السكير لا يكون له صيت حسن بين الناس، لكن مالك بن نبي بين من خلال هذا الفول أن الإنسان المسلم ورغم انحرافه عن الطريق يظل متشبثا بتلك الروح المسلمة المؤمنة بالله والموحدة له، ويريد إيصال فكرة للعالم بأن المسلم رغم ظلاله وبفطرته التي يولد بها تلك الفطرة المسلمة يرجع إلى الطريق، فالقيم هي القيم حتى في عين المنحرف كما يرى الشيخ "محمد متولي الشعراوي" ويعرف الإسلام إن الإنسان المخمر إنسان مدمن غائب عن الوعي لا يكاد يفيق منغمس في شرابه للكحول والإسلام حرم الخمر، وقد رأى ابراهيم حلم ورواه

[1] – مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء، ترجمة زيدان خوليف، دار الوعي، الجزائر، ط1، 2013، ص 39.

كثيرا وكان في حيرة من أمره يريد تفسيره وإلى ما يرمي هذا الحلم وقد وجهه ذلك الحلم إلى الطريق الصحيح بعدما كان يعيش في دوامة المعاصي والبعد عن الله عز وجل ففي نهاية المطاف حج إبراهيم إلى بيت الله الحرام «كان إبراهيم في هذه اللحظة في حاله نفسية خاصة لمسلم متوسط الايمان قلبه ممتلئ بالثقة في رحمة الله وحلمه، إن زمن الخطئة فد ولى بالنسبة لإبراهيم»[1] أي أن الإنسان المسلم رغم خطاياه الكثيرة يبقى قلبه ممتلئ بالثقة في رحمة الله، وكله أمل بأن الله تعالي سيغفر له خطاياه ويتوب عليه، فالمسلم عندما يتخلص من ذنوبه تصبح لديه ثقة كبيرة في عفران الله، هذا حال المسلمين حسب مالك بن نبي يخطئون ولكن سرعان ما يعودون إلى رشدهم ويطلبون رحمة الله، كان إبراهيم في حيرة من أمره فما نعلمه صغير وغاص في أعماقه لا يتناسب مع ما يطفوا على السطح مع أحاسيسه العميقة إن الفراغ الذي يعانيه كل إمرئ غير مقتنع بعقيدته ومقوماته الأخلاقية، لكنه سرعان ما استدرك الأمر وأدى فريضة الحج، مما يدل على أنه مهما حار المؤمن عن سواء السبيل، فإن خلاص في العقيدة الإسلامية أما زوجة إبراهيم الوفية رغم ما عانته من ويلات «مع أنه كانت مطلقة، فقد رفضت أن تتزوج مرة أخرى إكراما لذكرى حمويها اللذين أوصياها بابنهما وهما على فراش الموت، تشتغل زهرة بجد وتكسب قوتها بشرف خياطة للعائلات البرجوازية»[2] ويوضح مالك بن نبي همنا أن المرأة الجزائرية المسلمة وفية جدا ومثابرة وتشتغل بشرف ويوضح ذلك بمثال زهرة رغم أن طلقها إبراهيم وضاقت الأمرين معه، بقت تكن له كل الاحترام وتتمنى له كل الخير ولم تتزوج بعده، ولا ننسى العم محمد الذي كان في هذه الرواية يمثل الأصالة المتجذرة في الأمة الإسلامية ففي هذه الرواية استطاع مالك بن نبي أن يقدو لنا وصفا للمجتمع الجزائري وأصالته ومحافظته عن هويته الإسلامية، وكان يريد أن يؤكد أن في المجتمع قيم راسخة ليس من السهل طمسها ومحوها، أي أن الأنا

[1] – مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء، ص 80

[2] – نفسه، ص 71.

الإسلامية تتميز بعقيدتها الإسلامية الحقة التي تتماشى مع تعاليم الإسلام، وأن الأنا تتمثل في الهوية التي تكون حامية ومنجية للإنسان المسلم، إن ثقافة الأنا عند مالك بن نبي تقوم على العاطفة والوجدان وتحدث عن دور المسلم الذي يعطي صورة عن الإسلام والمجتمع المسلم فيقول «وعندما نتساءل كيف يقوم المسلم بدوره في اتجاه تحقيق معنى الآية الكريمة التي أوردناها بجنب آليا: إن المسلم يبلغ الإسلام دون أن تحدد في اجابتنا شروط هذا التبليغ، وهذا هو المنطق السهل»[1]، نجد مالك بن نبي هنا يدعو إلى ضرورة معرفة كل مسلم الذي يقوم به منطلقا من مرجعية إسلامية معتمدا على مبادئ الشريعة الإسلامية، حيث أنه استعان بتقديم صورة رمزية، لتقريب المعنى أكثر من أجل شعور الفرد المسلم بأزمته، والمبادرة في تقديم الحلول لها فهو يرى أن الحضارة الأوروبية رغم أنها وصلت في تحقيق غايتها المتمثلة في اكتشاف التكنولوجيا والوصول إلى قمة التطور وبناء حضارة متقدمة إلا أنها كانت فاقدة للبعد الروحي الذي كان سندها في تحقيق ذلك الرقي، وكان بجانبها في أوقات المحن والأزمات وذلك البعد هو مرتبط بوجود الله والذي تمتلكه الأمة الإسلامية لذلك نجده يدعو الفرد المسلم بأن يرفع مستواه إلى مستوى الحضارة أو أكثر من ذلك ليجعل من تلك الحضارة مقدسة في هذا الوجود ولا قداسة لهذا الوجود إلا بوجود الله فالمسلم إن تحلى بصورة الإنسان المتحضر مع التحلي بكل المبادئ الإسلامية، استطاع أن يصل إلى الارتفاع بحضارته كلها إلى مستوى القداسة، ولعل هذا ما يتميز به الفرد المسلم عن الفرد الغربي، أو هذا ما تتوقف به الأنا الإسلامية على الغربية ويقول أيضا «وبقدر ما تراكمت الامكانيات الحضارية اضمحلت القاعدة الاخلاقية الروحية المعنوية التي تتحمل في كل مجمع عبء الأثقال الاجتماعية والأثقال المادية، إذ لا بد من قاعدة روحية متينة حتى

[1] – مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الاخير من القرن العشرين، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1991، ص 38.

تتحمل هذه الأعباء»[1]، هنا يرى مالك بن نبي أن سبب اضمحلال وتلاشي المباذئ الأخلاقية عند الأفراد يعود إلى تطور الحضاري الذي سببته التطورات والتكنولوجيا من طرف الحضارة الغربية لذلك نجده يدعو إلى قاعدة روحية صحيحة، لا بد على الإنسان التحلي بها لكي تتجاوز من خلالها كل ما سببته الأشياء المادية التي وصلت إليها الحضارة الغربية؟ أو ما يطلق عن العقل الأداتي على حد تعبير هابرماس لذلك يرى مالك بن نبي أن الفرد المسلم لا بد أن يكون له دور فعال في تجاوز ذلك خاصة أنه أصبح على علم أن أعدائه تمكنو التقرب إلى عقائده المقدسة، أن بعده الروحي وهو بذلك يعيش في حالة خطيرة لا بد عليه أن يعيش أزمته بكل أبعادها حتى يستطيع تجاوزها كما يقول «في هذه الدنيا أصبح للأمة التي خصها الله بالهداية الإسلامية، وخصها الله برسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في هذه الدنيا، هذه الأمة أصبحت تعاني الأزمات المتنوعة التي قد نجمعها في كلمة واحدة نسميها بالأزمة الحضارية»[2] وثبت مالك بن نبي أن الأمة الإسلامية هي تلك الأمة التي كرمها الله بالهذاية وأمرها بالمعروف ونهاها عن المنكر فقد اتسمت بالمبادئ الأخلاقية إلا أنها تعاني من أزمات كثيرة يمكن أن نطلق عليها بالأزمة الحضارية وهي أخطر الأزمات التي يمكن أن يعيشها العالم الإسلامي، لأنه لم يرتقي بعد التطور وبناء حضارة عصرية بل مازالت في ركود لكن بإمكانها القيام بذلك واستنادا لقول مالك بن نبي «فما هو واضح تصوري أنا المسلم ليس واضحا بالنسبة للآخرين الذي ينبغي علي أن أتقدم إليهم آخذ بالاعتبار تصورهم هم لا تصوري أنا عن حقيقة المسلم، لأن حقيقة المسلم محجوبة عن نظر الآخرين»[3] ونفهم من هذا أن حقيقة المسلم من منظور مالك بن نبي هي عبارة عن أعجوبة بالنسبة للآخرين فهو يرى كرامة المسلم وفضيلته وأخلاقه وكذلك شرفه وعزة نفسه وكل القيم والمبادئ الذي يتسم بها لا يراها الآخرين، لأن القيم الاجتماعية هي من تخفيها

[1] – مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الاخير من القرن العشرين، ص 45.

[2] – نفسه، ص 46.

[3] – نفسه، ص59.

عليهم فيبدو لهم أن المسلم جاهل وفقير ولكن حقيقته غير ذلك ويقول أيضا «فنحن حينما تكلمنا عن الاعجاز الذي يتضمن شروط الاقناع وشروط الاقناع تكلمنا عن شيء جوهري جدا، أعني ذلك أن المسلم لا يستطيع أن يقوم برسالته في الثلث الأخير من الفرن العشرين إلا إذا حقق من خلال منطق خاص لرسالته كل الشروط الاقتناع وكل شروط الاقناع»[1] إذا فإن الإعجاز حسب مالك بن نبي هو الذي يحتوي على شروط الاقتناع والاقناع وهو مرتبط بقدرة المسلم في تحقيق رسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين، وهذا لا يتحقق، إلا إذا تضمنت رسالته على المبادئ الاقتناع والاقناع لذلك يدعو المسلم إلى القيام بواجباته في هذا العصر ولا يتحقق ذلك إلا من خلال تغير مجتمعه وتحقيق تقدم والتطور لا بد من أن يبدأ هذا التغيير من نفسه أولا، فالتغيير الحقيق يبدأ من محاسبة النفس وتعديلها ثم المجتمع فلو كل إنسان حاسب نفسه تستقيم البلاد.

كما نجد أيضا مالك ين نبي عرف الأنا عن علماء النفس واستشهد ببعض علماء النفس والفلاسفة مثل غوتشوف يونغ يقول« ويذهب يونج إلى التميز بين جانبين في الفرد القناع Lupersonn، وما وراء القناع أطلق عليه كلمة الظل Lombre ويقد بالقناع الجانب المتجه ناحية المجتمع ويقصد بالظل الجانب المتجه نحو الطبيعة والغريزة أي نحو ما هو حيوي»[2] إذن الأنا حسب يونج تتكون من جانبين جانب ظاهري وهو مجموع الأفعال والسلوكات التي يقوم بها الفرد اتجاه الأخر وهو المجتمع وما يقصد به "القناع" وجانب داخلي نفسي يتمثل في غريزة الفرد الطبيعية التي فطر عليها وهو ما اصطلح عليه يونج مصطلح الظل، وبالتالي نحسب يونج الأنا تتكون من جانبين خارجية سمها بالقناع وداخلية سماها بالظل هذه الأنا الداخلية تعتبر مصدر أفعالنا وسلوكاتنا مع الآخر أي أن الأنا الخارجية فما هي إلا انعكاس للأنا الداخلية وتمثل لها، ويخيف هدفيلد لتعريفه للأنا يقول

[1] – مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الاخير من القرن العشرين، ص54.

[2] – مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، ندوة مالك بن نبي، طرابلس، لبنان، ط1، 1974، ج1، ص 64.

«لقد أثبتت التجربة أن اختيار الفرد لمثله الأعلى أهدى طريق إلى السعادة، وهذا الاختيار من ناحية أخرى أعظم من أن يكون حكما خاصا نتيجة تفكير الفرد فهو يرى إذن أن هناك مثيلا أعلى موضوعيا يتفق مع التقاليد الأخلاقية التي تلخص تجربة الحس»[1].

وهذا يعني أن الأنا حسية وحسب علم النفس تضع مثال أعلى وقواعد عليا نهتدى به إلى الحق والصواب وتتجنب من خلاله الخطأ والزلل هذه المثل العليا تتمثل في الضوابط الدينية حسب قوله « يظهر لنا من وجهة نظر علم النفس أن العنصر الديني يتدخل في تكوين الطاقة النفسية الأساسية لذي الفرد، وهي تنظيم الطافة الحيوية الواقعة في تصرف الأنا الفرد»[2] إذن هذه الضوابط الدينية التي تغير قوى عليا ترضخ لها الأنا وبهذا فإن اعتناق مجتمع ما بذات الديانة، يوحد لنا الأنا ويجعل الفرد يحترف وفق ذات المعايير والقواعد الشيء الذي يجعل المجتمع منظما ومتماسكا أما مالك بن نبي يقول «أما الآن، فلقد فقد هذا النظام الإسلامي تقريبا كل فاعليته الاجتماعية بل لننظر أكثر من ذلك إلى فكرة "إسلام" ذاتها، وهي التي تعرف دويها العميق في ضمير المسلمين الأولين، هذه الفكرة لم يعد لها اليوم الدوي نفسه وقوة التوجيه لسلوكنا الفردي»[3] ، ومن خلال هذا عرف مالك بن نبي الأنا الإسلامية أنها لما كانت مرتبطة بالدين كان المجمع أكثر تماسكا وتطورا وقوة، ويقول بذات الفكرة التي قال بها علم النفس وهي أن الأنا الخارجية تكون انعكاس للأنا الداخيلة الروحية ومتى حدث انفصال بين الأنا الداخلية والأنا الخارجية وقع الخلل وهذا ما يرى أن مجتمعاتنا الحالية تعاني منه أن هناك فجوة وهوة بين الأنا الروحية والأنا الاجتماعية فيقول «وكثيرا ما رأينا في جوانب المسجد أحد المصلين ذائبا في دموعه، بل لقد نرى الامام نفسه، وقد حذفته تسهماته وانفعلاته وعم ذلك فإذا ماقض هذا الشمع صلاته بقيت " الحقيق" التي زلزلت كيانه في المسجد، ولم تتبعه إلى الشارع، أن هناك انفصالا بين العنصر الروحي، والعنصر

[1] – مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ص68.

[2] – نفسه، ص68.

[3] – نفسه، ص97.

الاجتماعي هناك افتراق بين المبدأ والحياة»[1] وهذا يدل على أن الفرد المسلم الآن أصبح يستحضر روحه وأناه الداخلية في المسجد لا غير، وإذا ما غادرها انسلخ عن تلك القوى الدينية المنظمة لحياته، وهذا ما جعل المعاملات تختلف وتتضارب، مما خلق توتر في العلاقات والمعاملات وتخلف في المجتمعات، أي أن أناه تستمد ظوابطه من الدين وأخلاقه أيضا من الدين كانت الأنا آنذاك متشبعة بالدين، وهي التي تطلق الأوامر على الأنا الخارجية التي هي أفعالنا مثل أنا في قلبي الحب أبين ذلك الحب، أما الآن ندخل المساجد نتأثر كثيرا ولكن عندما نخرج ننسى تلك الموعظة وترجع إلى سلوكاتنا القديمة الخاطئة، وهذا دليل على وجود فجوة بين الأنا الداخلية والأنا الخارجية، أي أن الإسلام أصبح موجودا في الأنا الروحية فقط أسمع مثلا القرآن أتأثر به ومن ثم عندما نأتي نطبق سلوكاتنا نطبق وفقا لصالحنا وأنانيتنا، أي أن سلوكاتنا لم تصبح ترضخ للأنا الروحية أي هناك انفصال بين الأنا الروحية وسلوكاتنا وهذا ما تحدث عنه مالك بن نبي وقال أننا نعاني منها وهو انسلاخا عن أنانا الروحية ونفهم من وجهة نظر مالك بن نبي أن الأنا هو المسلم القوي بفكرته التي انطلقت من العقيدة الإسلامية الصحيحة أي أن الانا كانت مرتوية بالإسلام الذي جاب الأمم وسيطر بعقيدته المتينة، و حاضر تخلفت عنه هذه الذات انسلاخا من ذاتها الحقيقية، أصبحت الأنا عاجزة في ظل العولمة وذلك بسبب تخلف المسلم وحسب مالك بين نبي استرجاع الهوية المفقودة لا يتم إلى الرجوع الأصل وهو الإسلام.

**ثانيا: الآخر عند مالك بن نبي:**

الإسلام ينفرد عن غيره من الديانات المنغلقة على نفسها بأنه لا يقيم حواجز بين أتباعه والمعارضين له، بل يمد جسور التواصل والتعاون بينهما، ولقد شغفو بدراسة الآخر ومن بينهم مالك بن نبي وذلك لدراسة الغرب ومعرفته عن قرب، كان مفكرا مبدعا، صاحب نظرة عميقة كان من دعاة البحث في الحضارة الغربية ومعرفة هذا الآخر فيقول «ينبغي أن

[1] – مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ، ص98.

يعرف العالم وأن يعرف نفسه وأن يعرف الآخر بين بنفسه، فيشرع في تقديم قيمة ذاتية، إلى جانب تقويمه لما تمتلكه البشرية من قيم» [1] وهنا يبين على ضرورة الانفتاح على الآخر لأن من واجبنا معرفته، ومعرفة قيم هذا الآخر، وتحديد طبيعة الحلة به، ويجب معرفته في عمقه وما يتميز به من إيجابياته وسلبياته، لكي لا يكون معرفتنا به سطحية وأفكارنا عامة، انتقد مالك بن نبي النخب المسلمة وأعاب عليهم جهلهم بتاريخ الأمم الأخرى التي حققت قفزات نوعية، وتطورات كثيرا، وبزغ فجرها ولمع نجمها وحققت الكثير من النجاحات.

فقد أعجب مالك بن نبي بهذه الحضارة وقد أتيحت له الفرصة أن يدرس فيها فيقول «هذه التجربة التي تعد درسا خطيرا لفهم مصائر الشعوب والمضارات، هي جد مفيدة لبناء الفكر الإسلامي لأنها صادفت أعظم ما تصادفه عبقريته الإنسان من نجاح»[2] أي يجب أن نعرف العالم ليس أنفسنا فقط فقد أعجب مالك بن نبي من التجارب اليابانية والصينية والغربية طبعا وانبهر منهم خصوصا الحضارة الغربية وما توصلت إليه وما حققته في شتى المجالات والعلوم، ودراسة الآخر دراسة مفيدة للفكر الإسلامي، فهو يمثل تجربة وخبرة ثرية في عدة جوانب وأعاب على المسلمين جهلهم بتاريخ الآخر الغربي الغير مبرر الذي أوقعنا في سطحية قاتلة وقد استمرت تلك السطحية ونمت بقدر ازدياد الفئة المتخرجة من المدارس الغربية فيؤكد ذلك مالك بن نبي من خلال قوله «والشباب المسلم المذكور، لم يذهب إلى أوروبا إلا لكي يحصل على لقب جامعي، أو لكي يشبع فضوله السطحي التافه»[3] أي أن فئة الطلبة كنوا يذهبون إلى الغرب للدراسة من أجل الدراسة فقط ولم يحاولوا فهم تاريخ هذا الآخر، أو فهم ثقافتهم ومنهم من ذهب من أجل السياحة أو الاكتشاف والاطلاع، ونتج عن هذا تبعية عمياء للآخر فنشأ منهم تيار تأثر بالغرب، وانبهروا به فأرادوا تطبيق كل مبادئ

[1] – مالك بن نبي، وجهة العالم الاسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2002، ص 165.

[2] – مالك بن نبي، وجهة نظر العالم الاسلامي، ص 122.

[3] – نفسه، ص 64.

الحضارة الغربية على مجتمعاتنا المسلمة مراعاة الاختلاف بيننا، لكل مجتمع له ظروفه التي تختلف عن المجتمعات الأخرى من كل هذا استنتج أن مالك بن نبي وكأنه يدعونا إلى منهج التعرف الموضوعي على الآخر ويرى أن دراسة هذا الآخر الغربي جد مفيد للفكر الإسلامي، وكان المفكر مالك بن نبي يرى أن الآخر كان يتجلى بروح العنصرية « لا يستطيع أن يرى نفسه دون هذا المفهوم العنصري»[1] وهذه العنصرية يعتبرها مالك بن نبي داء فتاك أصاب الحضارة الغربية أي الآخر وقد أصبح روحا لها لا تستطيع الاستغناء عنه، وبه أصبحت تمتلك روح الإنسانية، واستغرب مالك بن نبي هذه الظاهرة لأن الإسلام عندنا ينهانا عن العنصرية بين الفراد، وهي أفة اجتماعية صار بها الإسلام، بشتى أنواعها وأشكالها، لأن التفاضل بين البشر لا يكون لا يميزان التقوى وديننا الحنيف دعا إلى القضاء على الفوارق والطبقات وجعل كل الناس سواسية وأذاب الفوارق التي على أساس من الجنس والعرق أماني الغرب أو اللون، في الإسلام لا توجد عنصرية.

فقد طغت النزعة العنصرية فأصبحت تحتقر كل الأجناس على حد قول مالك بن نبي « على أساس احتقار كل الأجناس»[2] وأوروبا بهذه العقلية انتهكت حقوق الإنسان وكرامتهم فقد حاولوا طمس هوية ومعالم الإسلامي من سجل التاريخ وأكبر دليل على ذلك الاستشراق، الذين كانوا يريدون أن يوهموا الأخرين بأن الحضارة تقتصر على أوروبا فقط لا غيرها.

كما يرى مالك بن نبي أن الآخر قد استفاد كثيرا من الحضارة الإسلامية والمسلمين في قترة الحروب الصليبية وهذا استنادا لقوله « حتى إذا جاءت الحروب الصليبية وجدنا الحضارة الأوروبية تخرج عن حدودها لتجني حصادا طيبا من الحضارة الإسلامية»[3] أي باتصال الغرب مع المسلمين استفادوا منهم وأدى ذلك إلى اكتشاف الآخر الذي كان غامضا فتعرفوا على عاداته وتقاليده وأخلاقه وقيمه وحقيقته الدينية، فقد تروج الصليبيون من غير

[1] – مالك بن نبي، وجهة العالم الاسلامي المسألة اليهودية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2012، ج2، ص 84.

[2] – نفسه، ص 134.

[3] – نفسه، ص 40.

جنسهم من الشاميات والعربيات وبذلك نشأة صداقة بين الغرب والإسلام، وأهم ما استفادوا منه الغرب من الحروب الصليبية واختلاطهم بأصل الإسلام أي أن القابضين على زمام الأمر في الغرب لم يعودوا كما كانوا في الثمانين من السنة الأخيرة التي مضت قبل كانوا يسيرون بأوامر الكنيسة ويشجعون الناس أيضا على أن يخضعوا لها يقتلون ويقتلون، ومن أعظم ما عاد عليهم بالفائدة أنه لم تعد خلالها دواوين التحقيق الديني ولم يحرق أحد بالنار وام تقطع الأعناق في سبيل الأفكار الدينية والعلمية، كما أن الأخر أثر في العالم الإسلامي أي شكلت علاقة تأثر وتأثير، كما يرى مالك بن نبي أن الآخر طغت عنه النزعة المادية بكثرة فهو مجتمع تغلغل فيه النزوع إلى المنفعة وتشكل واضح وازدياد هذه الروح المادية عبر التاريخ زاد وسوخا وقوة وهذا أحد الأسباب الذي جعلها تكون كيان مستعمر ظالم فأصبح يتجه الغرب في مطلع القرن العشرين إلى المادية وتشكل مفرط فيقول في هذا مالك بن نبي « وهكذا نجد اوروبا النازعة إلى الكم وإلى النسبية قد قتلت عددا كبيرا من المفاهيم الأخلاقية حيث جردتها من أرديتها النبيلة وأحالتها ضروبا من الصعلكة»[1] أن هوسهم بالمادة أفقدهم أخلاقهم النبيلة وأفقدهم الإنسان الإحساس بالأمان والاطمئنان وولدت لديه الشعور بالخوف واليأس، وقد ابتعدت عن الأخلاق الفاضلة والمبادئ الإنسانية العادلة، والغرب سيعاني لاحقا كثيرا من النزعة المادية، لأن هذا الآخر الغربي فقد منظومة أخلاقه وافتقر إليها مثل التي يستند إليها العالم الإسلامي، فيعتبر هذا الأمر مفلسا أخلاقيا وأن اللحظة الحالية تقتضي قيادة الرجل المسلم ذي منظومة أخلاقية شاملة للإنقاذ النزعة المادية المتسلطة بل ويعتبر أن لا منفذ للمأزق الأخلاقي الذي يعيشه الغرب إلا الإسلام وكثير من الغربيين وجدو بغيتهم في الإسلام والروحانية الإسلامية لأنهم كانوا يعيشون في فراغ روحي والإسلام يوازن بين الروحانية والمادية، ونزعة هذا الآخر المادية جعلته مفرطا في استعمال القوة قال مالك بن

[1] – مالك بن نبي، وجهة العالم الاسلامي، ص 128.

نبي «إن مركب القوة موجود في أصول المرض الأوروبي»[1] ويوضح هذا أن مالك بن نبي شبه هذه القوة بالمرض فقد كان القرن التاسع عشر قرن القوة والهيمنة فتجذرت هذه الفلسفة في روح الإنسان الغربي، وأصبحت كداء أصابه ونتج عنها الغرور والتعالي، ويؤكد أن هذه النزعة للهيمنة والسيطرة هي شعور عميق في الإنسان الأوروبي ورثه عن ثقافته وتبقى عالقة فيه، فالفرد الأوروبي يحمل جراثيم الكبرياء دائما، لأنه يتلقاها من الجو الأمومي، الذي يكون فيه من الطفولة.

كما كان لابن نبي عدة وجهات نظر عن الآخر من بينها أيضا أنا أوروبا تكره الآخر وتخشاه وعندما نقول الآخر بالنسبة للآخر هو الأنا أي العالم الإسلامي من بين الذين تكرههم كرها شديدا ولديها عقدة منه وتريد أن يكون هذا العالم لهم فقط أي خاليا وخاويا منهم فيقول مالك بن نبي «عالم دون بشر أليس الأصح أن نسميها الرغبة في عالم بلا شهود»[2] وهم بذلك يقولون أنهم الأسياد وذلك حسبهم أن العنصر الأوروبي هو خالق للحضارة، وهذه العقدة ناتجة عن التعالي والشعور بعقدة النقص وأيضا في موقف مالك بن نبي ينتقد موقف المسلمين عن الغرب هذا الموقف الذي يتسم بالتناقض والتطرف والذي يعتبر العرب النموذج الصالح الجدير بالإتباع، كما قلنا انتقد الذين يعتبرون الأخر العدو الدود والمتآمر مالك بن نبي كانت له رؤية مختلفة تماما فهو يعتبر أن الأخر ليس كله شر وكره وحقد، والاخر صحيح أنه حكم العالم وسيطر عليه لكنه غيره أيضا، فالعالم الآن هو تحت وطأة سوطها اللعين، ولو نبقى نتحدث عن فضلها وميزاتها وخيراتها كما يوهمنا الاستعمار، هنا تكون شهد شهادة زور في حق التاريخ وحق البشرية لما عانته من ويلات بسببه، ولكنا أيضا نقدم شهادة زور اخرى لو أننا اقترحنا الحديث عن سوطها وفقط يقول مالك بن نبي «إن سوطه اللعين هو الذي أيقظ المتأخرين الذين مازالوا يأخذون حمام الشمس على الكورنيش في ذلك

[1] – مالك بن نبي، فكرة الافريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط3، 2001، ص258.

[2] – مالك بن نبي، في مهب المعركة ، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط3، 2002، ص28.

شأن الأجراس»[1] ويقصد بذلك أن أوروبا لم ترد تمدين العام ولكنها وضعتها على الحضارة أي أيقظته من سباته حين جعلت تحت تصرفه الوسائل المادية ليتبع هذا الطريق أي أنها خدمته، وحاولت توجيهه ومن هنا يظهر موقف مالك بن نبي جليا اتجاه الآخر الذي اتسم بالموضوعية فهو لا ينكر دوره في توفير أسباب الراحة البشرية وتسخير هذه الموارد التي يحتاجها أي شخص في الكون، وإضافة إلى توفير وسائل النقل والشواحن والمواصلات، مالك بن نبي (رحمه الله) انتقد الاسلوب الذي يلجأ إليه الآخر الغربي في التعامل مع العالم الثالث بوجه عام والعالم الإسلامي بوجه خاص، وقد أنصف مالك بن نبي الغرب في جل أحكامه، لأنه لم ينكر دوره الفعال واسهامه الضخم في البحث العلي ولم يرى أنا مانع في التفاهم معه إذا كان في إطار الحوار والتفاهم والاحترام المتبادل، أي أن مالك بن نبي دعى إلى الحوار مع الآخر لأنه من الضروري فتح باب الحوار مع الدول والمجتمعات الغربية من أجل تصحيح الأخطاء وبعث فرص التعاون والتكامل والتعايش مع حتى لا يتم الانتقال من حالة حوار إلى حالة صراع.

مالك بن نبي سعى وبكل موضوعية وجدية وعقلانية إلى ربط جسور الصداقة والتفاهم بين العالم الإسلامي والغرب وانطلق في حكمه هذا وموقفه من تجربة حياته وما رآه في حياته ومن خلال ملاحظاته وتحليله أن الحوار فهم للذات من خلال الأخر وفهم الآخر من خلال الذات، سعيا نحو الاعتراف بوجود الذات والآخر ، والحوار يعد أعلى مراتب التفاهم بين الشعوب وهو ظاهرة إنسانية تميز المجتمع البشري، وضروري لتعامل بين الناس على الآخر ويؤدي إلى اتساع الشراكة بين الآنا والآخر، مالك بن نبي أخذ موقف من دينه الإسلامي ومن القرآن الكريم الذي يدعو إلى التعاون بين خلق الله دون تمييز وحيادية وأخذ العبر من السيرة النبوية التي تعكس انفتاحا مع مختلف أطياف المجتمع، ومن تأثره بتجربته الشخصية من خلال حياته الزوجية مع الفرنسية التي دخلت الإسلام وأعطاها اسم خديجة،

[1] – مالك بن نبي، فكرة الافريقية الآسيوية ، ص49.

قد واجه تشكل منعطف كبير في حياته وغير الكثير في حياته، وذلك بسبب احتكاكه مع الغربين ودراستهم دراسة دقيقة، كما كان الفضل لأصدقائه الذين ساعدوه وقاسموا معه الدراسة ومر الحياة.

**ثالثا: علاقة الأنا بالآخر:**

إن العلاقة بين الأنا والآخر تأخذ موقفين موقف يقول أن العلاقة هي صراع وعداوة وموقف يقول تواصل وتعايش ففي الموقف الأول نجد عالم النفس سيغموند فرويد الذي يرى أن العلاقة بين الأنا والأخر هي علاقة صراع دائم فحسب كل خبرات الحياة والتاريخ تبين أن الإنسان عدواني بطبعة وأناني، فالعدوان حكم حياة الإنسان في العصور البدائية، حيث لم يكن يكون للملكية الخاصة وجود وحتى طلب انيشتاين من فرويد خطايا يدعو فيه السلام رد عليه هذا الأخير قائلا أن الحرب أمر طبيعي تماما، إذ أنها ترتكز على أساس بيولوجي مكين فيقول «فثمة غريزة للكراهية والتدمير تلتقي في منتصف الطريق مع تجارب الحرب»[1]

كما نجد كثير من الفلاسفة الذين لهم نفس الرؤية والموقف مع فرويد الذي يقول بأن العلاقة بين الأنا والآخر تقوم على الصراع مثل الفيلسوف الألماني هيغل الذي اتخذ من مفهوم الصراع أساسا لعلاقة الأنا بالآخر ويوضح ذلك في جدلية العبد والسيد الموقف الذي فيه يتنازل العبد عن الصراع خوف من الموت، في مقابل السيد الذي كان مستعدا لمواصلة الصراع، ولكن ليس جميع الفلاسفة يتفقون على رأي واحد فمنهم من له رؤية مختلفة ولا يعتبر الآخر عدوا للأنا ولا يعتبرون العلاقة القائمة بينهم علاقة صراع ونفور وحقد، بالعكس تماما يرونها علاقة تواصل ضرورية نجد أن سقراط يقدم تعريفه من خلال حدثه لأن العلم والمعرفة يشكلان عند الفضيلة فيقول « فالعدالة هي العلم بما تحب على الإنسان نحو

[1] – عبد الوهاب الميسري، موسوعة اليهود، اليهودية والصهيونية، الجمعات التحديث والثقافة، دار الشروق، قاهرة، مصر، ط1، 1999، ج3، ص 634.

الآخرين وضبط النفس هو العلم بما يحب على الإنسان نحو نفسه»[1] بمعنى أن العدالة في أرقى الفضائل لأنه من خلالها يدرك الإنسان ما يحب عليه باعتبار أنا اتجاه الآخر والأنا من خلال اتصالها بالآخر تكون صداقة معه، والصداقة أمر ضروري بالنسبة لسقراط وكان يدعو إلى الحوار مع الآخر وهنا يظهر أن العلاقة بين الأنا والآخر حسب سقراط تقوم على الصداقة التي تستدعي الحب والاحترام.

-كما يذهب ليفيناس إلى أن العلاقة بين الأنا والآخر في علاقة أخلاقية بالدرجة الأولى تقوم على مبدأ المسؤولية وذلك سندا لقوله «فعندما يأتيني الغير في زيارة أو يحاورني أو يخاطبني فستتولد داخلي التزامات أخلاقية تتجلى في أن أكون دائما موجودا من أجل الآخر... لذلك فإنني مسؤول تمام المسؤولية عن معنى حياته»[2]، لذلك أي لابد من الالتزام الأخلاقي اتجاه الآخر، وأن يكون وجود هذه الأنا من أجل تحقيق أهدافه وتحقيقها لمعاناته وهنا نضج شعر بالمسؤولية اتجاه الآخر التي تتولد عنها الحب والود بين الأنا والأخر ويؤكد إيمانويل ليفيناس دوما على ضرورة أن تكون هذه العلاقة تواصل ومشاركة علاقة قائمة على المحبة المتبادلة، علاقة روحية تقوم على الاعتراف بالأخر والتواصل معه، قوامها الاحترام والشعور بالمسؤولية تجاه الأخر، لأن الأخر يفقد غيرته إن كان مشابها للأنا، في حين أن الاعتراف بغيرته هو اعتراف بإنسانيته، كان دائما يدعو إلى التعامل مع الأخر كذات وليس كموضوع ولكن تصبح علاقتنا بالآخر علاقة أخلاقية إنسانية وجب الاقتراب من الأخر والاعتراف به، واحترامها والتحاور معه ومشاركته بدل إقصائه، والقول بأن الأخر سلب لوجود الأنا قول لا صحة له فارغ من المعنى لأن الواقع يثبت أن الآخر لم يسلب للأنا وجوده ولم يسلبه أيضا حياته ولا فكره، فلكل منهما حياته الخاصة به، إضافة إلى هذا ثمة

[1] – عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنات، ط1، 1984، ج 1، ص 578.

[2] – سمير بالكفيف، الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق الأجزاء، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص 410.

العديد من الأغيار المقابلة لعنصر الأنا ولكن العلاقة القائمة بين الأنا والغير ايجابيته قائمة علمي وسند لقوله «نحن مختلفون ولكننا لسنا معارضين»[1] من خلال الاختلاف يمكن تحديد الأخر لمختلف عنا وهو ليس المضاد لي وحسبه فإن الغير ساعد الذات في المعرفة والإدراك والتحصيل الموضوعي، وبالتالي فهو يكمل الذات.

– وبعد استعراضنا لكلا الموقفين الأول الذي يقر بأن العلاقة بين الأنا والآخر تقوم على أساس التناقض والصراع والتصادم والمواجهة، والموقف الثاني الذي يقوم بأنها علاقة تواصل وتفاعل واعتراف بالآخر لابد الإشارة إلى موقف مالك بن نبي الذي كان موقفه مختلفا نوعا ما فنظرته إلى العلاقة التي تربط الأنا الإسلامية بالآخر الغربي كانت نظرة شمولية عميقة درس فيها جميع النواحي لقد كان على دراية كبيرة بالغرب بعد ما درس في فرنسا، واختلط بالناس هناك من جمع المستويات، وهي علاقة تدافع من جهة هي علاقة تعلم كما أشرنا سابقا علاقة تأثير وتأثر مثلا مسألة الوعي الاجتماعي الذي نبه إليها وهي مسألة مهمة ينبغي اعتبارها فيقول «والواقع أن الوعي الاجتماعي الذي كان يتكون منذ حين في دائرة محدودة أمام منظر محدد عموما، بنطاق بلاد معينة هي المواطن، قد أصبح يتكون اليوم في إطار أكثر امتدادا بدرجة لا تضارع وفي منظر أثر إنفساحا»[2] وهذا يعني أن الوعي بفضل الغرب انتشر وتوسع كثيرا، ومن جهة أخرى يرى مالك بن نبي أنها علاقة حوار فنجده كثيرا يدعو إلى الحوار مع الآخر والتعاون من أجل نفع البشرية، لأن نفعه أكبر من ضرره فالمعرفة بالشيء أفضل من الجهل به، وكان الهدف من الحوار تبليغ الدعوة، فلقد قام مالك بن نبي بالتواصل مع مختلف الشخصيات الفكرية مثل جمال عبد الناصر، فقد كان مالك بن نبي من المؤيدين للحوار من الغرب دون أي عقدة نقص، بل ومن السباقين أيضا فقد ناصر فكرة الحوار، ويعتبرها علاقة تعايش لأنه تحقيق لقيم ثقافية مشتركة، أي التواصل

[1] – جيل دلوز، الاختلاف والتكرار، ترجمة وفاء شعبان، منظمة العربية للترجمة بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص 10.

[2] – مالك بن نبي، فكرة كمنويلث إسلامي، ترجمة الطيب شريف، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1960، ص 67.

مع مجتمع آخر يشترك معه في بعض القيم الثقافية، أو يختلف معه في بعض القيم فيؤكد مالك بن نبي أن كل تعايش مرهون بتركيب ثقافي «أصبح التعايش ضرورة حتمية في عالم تهيمن في التكنولوجيا التي فرض على كل مجتمع وجود الآخرين»[1] أي يجب التعايش مع الغرب المهيمن والمتطور تكنولوجيا.

– كما يرى أنها علاقة صراع بسبب ما سببته من دمار الاستعمار المستبد فيقول مالك بن نبي في هذا الشأن «فالاستعمار يعد في نظر كل مسلم الشيطان»[2].

وهذا يعني أن سبب الصراع بين العالم الإسلامي والغرب هو أن الاستعمار سلب حريتهم وطمس هويتم.

– وفي الأخير ما يمكن قوله أن مالك بن نبي كانت نظرته إلى علاقة الأنا بالآخر علاقة تشمل جميع الأوجه فقد درس الغرب في كيانه الحضاري وحلل بشكل دقيق صورة المختلفة ونزع القناع عن وجهه الاستعماري وعلى الرغم من معاناته النفسية، بين كشفه الصراع الفكري مكوناته القوة بسبب تركيزها على القضايا المحورية في العالم الإسلامي، وقد كانت دراسته موضوعية بدون انطباعات مسبقة أو أفكار متحيزة. بسبب كشفه لأسرار الصراع الفكري فقد أنصف مالك بن نبي العرب لأنه لم ينكر دوره الفعال في البحث العلمي وقد امتلكت أفكاره مكونات القوة بسبب تركيزها على القضايا المحورية في العالم الإسلامي.

[1] – مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، وسريا، ط4، 1984، ص 94.

[2] – نفسه، ص 123.

# الفصل الثاني:

## البناء الحضاري عند مالك بن نبي وروجيه غارودي

المبحث الأول: موقف مالك بن نبي من صراع الحضارات بين الأنا والآخر

المبحث الثاني: موقف روجيه غارودي من حوار الحضارات

المبحث الثالث: البناء النهضوي عند مالك بن نبي

**تمهيد:**

لم يكن مالك بن نبي بعيدا عن أوضاع المسلمين، بل كان مشغولا بها كثيرا لذلك تميزت دراسته بموضوع الحضارة بالحكمة والتعمق بالقضايا والوصول إلى المرض واستئصاله من أعماقه، فهو من النوابغ الذين جاءوا بأفكار ناضجة حول الحضارة مهتديا بخطى الإسلام وقد تحدث كثيرا (مالك بن نبي) عن الاستيلاب الذي تعيشه الحضارة الإسلامية بسبب أعدائها للتخلص منها ومحو هويتها وثقافتها، وعليه حاول أن يصلح من حال الأمة الإسلامية وتقديم الحلول، حيث كان أثره كبير على الفئة العربية المثقفة، من إحتكاك الإنسان (الأنا بلآخر) والذي أنتج إحساس العربي بقلق كبير حول التعايش مع حضارتين متناقضتين، فالحضارة الإسلامية قائمة على الموروث التقليدي المستمر، والحضارة العربية عنوان القوة والتطور، فنشأ الصراع بين الحضارتين، وهذا الصراع، ليس صراع حديث بل بدأ منذ وقت مبكر بين قطبي العالم الإسلامي والعالم الغربي واتخذ إشكالا متعددة، ومن الذين تميزوا بثقافة واسعة وموضوعية في تحليل الأمور ودقتها، وحاول تشبيه الإنسان المظلوم إلى ضرورة استرداد حقه ودوره المسلوب نجد المستشرف الفرنسي (روجيه غارودي) الذي عالج مشكلة الحضارة رغم اختلاف مصدر فلسفته مع مالك بن نبي إلا أنه كان مثقف معه في الغاية الحضارية الإسلامية الأصلية الحقة فقد حاول هذا المفكر الفرنسي اكتشاف الإسلام واكتشاف المسحية، لابد من الاشارة إلى مصطلح النهضة الذي يعتبر من أكثر المصطلحات تداولا والأكثر حضورا في مجال الفكر الفلسفي، حيث تشغل الذهن العربي، ويعد الأستاذ مالك بن نبي أحد رواد النهضة الفكرية الإسلامية في القرن العشرين، حيث يمكن اعتباره امتدادا لابن خلدون إذ نجده قد ألف كتبا عن النهضة عالج فيها مشاكل الفرد المسلم، وحاول تحليل هذه المشكلة والتعريف بمعوقاتها وإعطاء السبل للنهوض بالعالم الإسلامي، ومن هنا يمكن طرح التساؤلات التالية: ماهي نظرة مالك بن نبي لهذا الصراع؟

وكيف عالج مالك بن نبي مشكلة النهضة وماهي الحلول التي اقترحها للنهوض؟ أي كيف السبيل لهذه النهضة؟

**المبحث الأول: موقف مالك بن نبي من صراع الحضارات بين الأنا والآخر**

لقد تحدث مالك بن نبي على أن الحضارة أعمق دلالة وأرحب أفقا وأبعد مدى للتعبير عن الروح التي تسري في مجتمع من المجتمعات فهي تنشأ من تفاعل ثقافات متعددة. وقبل التطرق إلى مفهوم الحضارة يجب أن نتطرق أولا إلى مفهوم الصراع.

**أولا: مفهوم الصراع**

**أ-لغويا:**

جاء في لسان العرب: «صرع: الصرع بالأرض وخص في التهذيب بالإنسان، صارعه فصرعه يصرعه صرعا، وصرعا، الفتح لتعميم والكسر لقيس عن يعقوب فهو مصروع، ومربع والجمع صرعي والمصارعة»[1].

أي أن صرع هو صراع بين شخصين وجمعه مصارعة وغالبا تكون المصارعة بين طرفين.

-كما وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم قوله تعالى:﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[2]

**ب- المفهوم الاصطلاحي:**

كما نجد تعريفات اصطلاحية للصراع ومعناه فقد عرفه جميل صليبا «الصراع في الأحل نزاع بين شخصين يحاول كل منهما أن يتغلب على الآخر بقوته المادية كالصراع بين الأبطال الرياضيين أو الصراع بين الدول في الحرب»[3].

[1] - ابن منظور، لسان العرب، دار الصاد، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ج8، ص 288.

[2] - سورة الحاقة، الآية 07.

[3] - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1971م، ج1، ص 725.

ويقصد بذلك أن الصراع هو حالة متبادلة بين طرفين يحاول كل واحد التغلب على الآخر، وإلغاه لأن اجتماعها غير ممكن إطلاقا، والصراع غالبا يكون بين الدول في الحروب والصراع بشكل عام هو ظاهرة اجتماعية تعكس حالة من عدم الارتياح أو الضغط النفسي الناتج عن عدم توافق بين رغبتين أو أكثر، أو تعارض ارادتين أو أكثر ، ويساعد الصراع كمفهوم من تفسير الكثير من جوانب الحياة الاجتماعية مثل الاختلاف الاجتماعي، وتعارض المصالح والحروب بين الأفراد والجماعات، والتعريف الشائع للصراع عندما يتصور طرفان أو أكثر تعارض الأهداف ويسعيان إلى إضعاف قدرات الآخر للوصول إلى الهدف المنشود.

**ثانيا: مفهوم الحضارة**

حظيت الحضارات باهتمام العديد من المفكرين سواء كانوا علماء اجتماع أو علماء نفس أو علماء دين أو فلاسفة....إلخ، ويعتبر مفهوم الحضارة من أكثر المفاهيم صعوبة في التحديد وذلك بفعل التطور الدلالي الذي حظي به عبر تاريخ الحضارة نفسها ويعتبر مالك بن نبي من المفكرين الذي اعتنوا بدراسة الحضارة، وقد احتلت مكانة أساسية في نظريته الاجتماعية إن لم نقل إنها الإشكالية الجوهرية التي يتحرك في حدودها كل تفكيره في كل كتاباته.

**أ- المفهوم اللغوي:**

تعرف الحضارة لغويا في عدة قواميس وكتب نظرا لأهميتها الكبيرة في واقع الفكر الإنساني تعرف كلمة الحضارة في متن اللغة كما يلي «ضد البداوة: الاقامة في الحضر" أخض من ذلك من الطباع المكتبة في المعيشة في الحضر، وأطلق مجمع مصدر اسم الحضارة على ما يسمى بالفرنسية civilisation واسم التحضر والتمدن على ما يسمى بالإنجليزية urbanisation»[1] أي أن الحضارة ضد البداوة وهي التمدن.

[1] – العلامة اللغوي الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة موسوعة لغوية حديثة، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ط) 1958، ج 2، ص 111.

كما عرفها مالك بن نبي الأستاذ الذي عرف بفيلسوف الحضارة «ولقد كان القرن التاسع عشر هو القرن الذي ولدت فيه أول تفسيرات الواقعة الاجتماعية في إطار ظاهرة معينة هي الحضارة»[1] ويعنى بهذا الأستاذ مالك بن نبي أن الحضارة ظاهرة اجتماعية، وقد استعمل هذا المصطلح في القرن التاسع عشر.

**ب- المفهوم الاصطلاحي:**

لقد عرفت الشعوب والأمم منذ القديم الحضارة وعبرت عن مظاهرها وقد اختلفت من شخص لآخر ومن عصر لآخر يعرفه الدكتور حسين مؤنس في كتابه الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها بقوله «الحضارة في مفهومها العام مهي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواء أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصودا أم غير مقصود، سواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية»[2]. أي أن الحضارة هي نتاج مجهود الإنسان لتحسين مستواه المعيشي ابتكر الإنسان كل شيء ليحسن مستواه مثل وسائل النقل والاتصال سواء كان ذلك الجهد مقصود أو غير مقصود، والحضارة نظام اجتماعي متكون من أفراد يساهمون في تحسينها وترقيتها انطلاقا من مجموعة من المظاهر الأدبية والعلمية الموجودة في المجتمع والمكملة لبعضها البعض فكل نهاية حضارة قديمة هي بداية لضارة جديدة.

ويعرفها الفيلسوف مالك بن نبي «إن الحضارة ماهي نتاج فكرة جوهرية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفة التي تدخل به التاريخ»[3].

[1] – مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1979، ص62.

[2] – حسين مؤنس، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ط 2، 1978، ص13.

[3] – مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2002، ص 41.

أي أنها من نتاج أفكار الإنسان ينتجها الإنسان البدائي الغير متحضر وهي التي تكون سبب في أن يدخل التاريخ من أوسع أبوابه، وهي أعلى تجمع ثقافي للناس وأوسع مستوى للهوية الثقافية للشعب ولا يسبقها، إلا ما يميز البشر عن الأنواع الأخرى، وهي إنجازات الإنسان وإسهاماته المختلفة في لحظات فرقة ومتعاقبة من تاريخه، وسر الحضارة وجوهرها إنه التناغم الحادث بين الفكر والمادة وبين العقل وإمكانياته الثقافية من جهة وبين الطبيعة ومواردها من جهة أخرى وأية حضارة لا تقوم من عدم، وإنما تتظافر عوامل ومقومات كثيرة لإخراجها وإكمال صورتها كما عرفها في كتابه شروط النهضة قائلا «أن الحضارة مجموعة من العلائق بين المجال الحيوي (البيولوجي) حيث ينشأ ويتقوى هيكلها وبين المجال الفكري حيث تولد وتنمو روحها»[1].

أي أن حضارة القرن العشرين لها مشتملاتها المادية والروحية فلا يمكن أن تبيع شيئا وتترك الآخر، أي أنه لا يمكن أن تبيع روحها وأفكارها وثروتها الذاتية وأذواقها، هذا الحشد من الأفكار والمعاني التي تمليها الأنامل، وهي التي تمنحها ذلك العديد الهائل من العلائق التي لا توصف.

كما يعرفها بشكل عام بقوله «إنها جملة العوامل المعنوية والمادية التي تتيح لمجتمع ما أن يوفر لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره»[2].

أي أن الحضارة تتدخل فيها جملة من العوامل المادية والمعنوية لتوفر للإنسان راحته، وحسبه الحضارة لا تقتصر على وفرة المنتجات الفكرية والمادية وتكسيها، لأن ذلك يسلب الفرد طاقته وبوقعه في خانة التبعية بل الحضارة أكثر من ذلك في قدرة على البناء والإبداع، وضاعة الأطر الملائمة لذلك ضمن رؤية شاملة للوسائل والاهداف.

[1] – مالك بن نبي، شروط النهضة، ص43.

[2] – مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص42.

**ثالثا: الصراع الحضاري**

إن الصراع ظاهرة كونية تجسمت في سلوك الإنسان الحركي الفكري أو بالقدر الذي يكون فيه الصراع ضرورة تتطلبها حتمية الدفاع عن الذات وإثباتها في وجه الآخر الخصم، كما قلنا سابقا أن مالك بن نبي من المفكرين الذين اهتموا بدراسة الحضارة وحلولها، واهتموا بمشاكلها، بما أنه عايش الفترة الاستعمارية في الجزائر فقد وقف على الممارسات الوحشية التي تبناها هذا الاستعمار في طريقة تعامله مع الشعب الجزائري، ولما انتقل إلى فرنسا زادت معرفته بهذا المستعمر الغربي، ومن هنا بدأ يبحث مالك بن نبي عن حقيقة الصراع القائم بين الضارتين المتباينين، من حيث القيم والأهداف فألف الكثير من الكتب حول مشكلة الحضارة فتبع الصراع الفكري والثقافي والديني والاجتماعي، وما نتج عنه من أثار سلبية على الفرد والمجتمع ففي الصراع الفكري يجب أن نوضح فكرة مهمة وهي أن هذا الصراع ليس صراع الايديولوجيات بل يعني بذلك النهج المنظم الذي ينفذه الأخر المستعمر لتشويه وعي وفكرة شعوب المستعمرات فيقول «ففي كل نشاط فطري على العموم والنشاط الفكري المحتل بالإسلام على الخصوص يقع هذا النشاط مباشرة تحت مجاهر سميتها مراصد الصراع الفكري في العلم وهذه المجاهر ليست لكل حال إسلامية، حتى لو سخره بعض الشخصيات أو بعض الجهات الإسلامية لتضييق الخناق على هذا النشاط»[1].

أي أن في كل نشاط فكري يقوم به العالم الإسلامي نجد الغرب المستعمر يستعمل مختلف الوسائل لكي يسود ظلام شامل على بعض القطاعات من الجهة الفكرية كي يعزلها عن ضمير الشعب وعن الضمير العالمي، وأنهم دائما يضيقون الخناق في العالم الإسلامي حتي يحصروه في زاوية واحدة ويكون أمامهم عاجز غير قادر على الدفاع عن حضارته وإسلامه وأن يسلم بهم ويخضع لسلطتهم وجبروتهم وطغيانهم ويصبح دون شخصية كما يقول مالك بن نبي «إن الاستعمار فلسفة الخاصة التي تتمثل في التخلص من الأفكار التي

[1] – مالك بن نبي، مجالس دمشق، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2006، ص35.

تضايقه وفي الانحراف بها عن مراميها، بتوجيهها المدار الذي أراد أصحابها استبقاءها فيه»[1].

بمعنى أن الاستعمار يحاول التخلص من كل الأفكار الإسلامية والحضارية، ويريد تغييرها خارج المسار الذي كانت تسير به والاستعمار يستطيع التخلص من أي فكرة معينة فهو يعرف كيف ينحرف بها ويوجهها خارج مدارها.

هنا بالذات تتجلى عبقرية الاستعمار الجهنمية، وبسبب تخلفها حسب مالك بن نبي وانحطاطنا يعود وقبل كل شيء لفقدان أفكارنا مفعولها القوي الذي كانت عليه قبل المتشبع بالثقافة والإسلام، ولجأنا إلى جلب أفكار قاتلة ميتة ورثناها من عصر ما بعد الموحدين تلك الأفكار يعرفها مالك بن نبي بقوله «هي الفكرة التي بها خذلت الأصول فكرة انحرفت عن مثلها الأعلى، وليس لها جذور في العصارة الثقافية الأصلية»[2] ويقصد بذلك أن الأفكار الميتة ما يتم استدعاء من التاريخ لحسم معارك الحاضر والمستقبل مثل الحديث عن غير المسلمين بطريقة كانت تصلح للقرن الثالث والرابع والخامس هجري، كما تحدث عن نوع آخر وهو الأفكار القاتلة المميتة لأننا في طريقنا لبناء نهضة حضارية إسلامية نواجه هذين النوعين من الأفكار الميتة والمميتة، الذي يساهمان في تعميق التخلف والتشويش هذه الأخيرة يعرفها مالك بن نبي «هي الفكرة التي فقدت هويتها وفيمتها الثقافتين بعد ما فقدت جذورها التي بقيت في مكانها في عالمها الثقافي الأصلي»[3]

ويقصد بها أنها أفكار وافدة من الحضارة الغربية هي في الأصل ميتو في محيطها لم تعد مستعملة، وهناك من آمن بها فجلبت لنا الاستعمار، وجعلت من الإنسان المسلم تابعا ويبين لنا من كل هذا أن حامل الفكرة الميتة لا يستطيع أن يختار أفكارا حية وفعالة من

[1] – مالك بن نبي، فكرة كمنويلث إسلامي، ترجمة الطيب شريف، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2000، ص55.

[2] – مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2002، ص 153.

[3] – نفسه ، ص 153.

الثقافة الغربية، فالفكرة الميتة في المجتمع الإسلامي مرادفه للفكرة المميتة في العالم الغربي، رغم أن هذا الأخير لا يملك الأفكار الميتة التي تعد عنده نفايات تؤدي لتعفن في هذه المرحلة تصل لصراع بين الأفكار الموضوعية الميتة والمميتة في حين أن الافكار المطبوعة لم تعد موجودة في الصورة، وأكيد من الطبيعة أن تكون للأفكار المقتولة نتيجة أو ردة فعل ويقول الأستاذ مالك بن نبي أن العيب فينا، أننا نحي تلك الأفكار وخاصة النخبة المثقفة من حيث نجده يقول في هذا الصدد «ذلك أن ما يجد (خيار) هذه النخبة في الواقع ليس مضمون الثقافة الغربية، بل مضمون الوعي في العالم ما بعد الموحدين الذي حدد (خيارا) لهذه النخبة بإرادة منها أو بغير إرادة»[1] بمعنى أن دور النخبة المثقفة من المفروض إنقاذنا من هذه الأفكار المميتة، ونقيس هذه النخبة ليس بالثقافة من الغرب بل بوعيهم بمدى خطورة هذه الأفكار وتجنبها وتوعية الأمم، ولهذا فإنه يجب استعادة أفكارنا الأصلية وإعطائها حقها، حتى تعدو أصلية، والأفكار الميتة لا يمكن أن نستخرج منها، نفعا ولا حياة، والأفكار المميتة فيها من السموم ما يكون مفعوله فاتكا في حسم الأمة على المدى القريب والبعيد فالأفكار الميتة إلا البتر شأنها شأن الأعضاء التي غادرتها الحياة، هذا هو الواقع الذي رصده مالك بن نبي رحمه الله موجود فينا اليوم فنحن نحمل من ما فينا كثيرا من الأفكار المميتة التي نحسبها هينه ولكن فعلها الدسين يهدم دفاعاتنا ويبطل مناعتنا ويجعلها عرضة لكل عارض ومن خلال ما ذكرناه سابقا يمكن أن نستنتج أن الصراع الفكري للقضاء على الوعي الفكري، فأصبح المسلمون اليوم سيتوردون الأفكار الميتة بلا من الأفكار الايجابية، واستوردوا الأفكار القاتلة وبذلك وقع التحالف بين الأفكار القاتلة والميتة وأصبحت توجد فوضى عارمة في المجتمع الإسلامي.

ومن بين الصراع الحضاري تحدث مالك بن نبي عن الصراع الثقافي فيرى خلفية المحيط الفكري والنفسي والاجتماعي والأخلاقي والروحي الذي يحتضن الوجود الإنساني في

[1] – مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص 149.

المجتمع وما هو قائم في المجتمع الإسلامي اليوم ليس إلا خليطا من ثقافة الغرب ومن نتاجها ومن أثر التبعية للغرب والهوس بهم وتقليدهم الأعمى في كل شيء.

ويشير الأستاذ مالك بن نبي إلى هذا الصراع الثقافي الذي أصاب الحضارة الإسلامية استنادا لقوله «والعالم الإسلامي اليوم خلط من بقايا موروثة عن عصر ما بعد الموحدين، وأجلاب ثقافية حديثة جاء بها تيار الاصلاح وتيار الحركة الحديثة، وهو خليط لم يصدر، كما رأينا عن توجيه واع، أو خليط علمي وإنما هو مجموعة من رواسب قديمة لم تحف من طوابع القدم ومستحدثات لم تتم تنقيتها»[1] أي أن العالم الإسلامي هو خليط مما خلفه الاستعمار حيث يرى مالك بن نبي أن مأساة العالم الإسلامي المزمنة تتجسد في إنسان ما بعد الموحدين، والحركة الاصلاحية لم تستطع تغيير النفس الإسلامية والحركة الحديثة، فإنها لم تأت بعناصر ثقافية جديدة لعدم اتصالها بالعالم الواقعي للحضارة الحركية ولهذا يعطي ملك بن نبي عدة تعاريف للثقافة مها حسب قوله «مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية، التي تؤثر في الفرد من ولادته وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه»[2] .

ونفهم من هذا القول أن مالك بن نبي يرى أن الثقافة فلسفة وقيم خلقية وفردية واجتماعية تؤثر في تكوين ونشأة الفرد منذ الطفولة بحيث تصبح نمطا لصقا بحياته ووشما مميزا لسلوكه يضع بها كل دقائق حياته وفق النمط الذي تشكل فيه، فالثقافة هي الأسلوب الذي يحكم علاقات الأفراد وسلوكياتهم ومن ثم كان دورها في المسار الحضاري دورا فعالا لأن تأثيرها لمس جميع الجوانب ويقول مالك ين نبي في الصراع الثقافي « فالأزمة الثقافية تنمو، وتنمو معها أيضا نتائجها، من الحد الذي يمكن تداركه بالتعديل البسيط إلى الحد الذي

[1] – مالك بين نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص77.

[2] – مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط4، 1984، ص 74.

يصبح فيه التعديل مستحيلا أولا يمكن إلا بثورة ثقافية جازمة تكون في الحقيقة بمثابة انطلاقة جديدة للحياة الاجتماعية من نقطة الصفر»[1].

وهذا يعني أن تشخيص مشكلة الثقافة في البلدان الإسلامية خاصة والبلدان النامية عامة، بدل يحق عن الأزمة ثقافية تجتاح بلدان العالم الثالث أي أن الواقع الثقافي يشكو في عمومه تعذرا في تركيب عناصر الثقافة ولعل السبب الرئيسي في الصراع الثقافي هو المستعمر وما خلفه من أثار التي أخفت وطمست عادات الشعب وتقاليده الإسلامية فيقول مالك بن نبي «حين جعل أسقف المنازل أشبه بالقبور أو بظهر الحمار وليس هذا بكل بساطة سوى ضرب من ضروب التنكر للذوق الإسلامي، ومحو الطراز العربي الجميل الذي خلق أثار لا تمحى من الأندلس»[2] .

ونفهم من قوله أن الاستعمار من دخوله إلى البلدان المستعمرة جردها من كل أصالتها وفنها الجميل وحاول تغيير لغتهم واستبدال الثقافة الإسلامية الأصلية بالثقافة الغربية التي يراها مالك بن نبي ثقافة سيطرت وكانت تريد من المسلم أن يصبح إنسانا تابعا لها وفقط، وحرص المدارس الأوروبية جعل الإنسان المسلم المستعمر عبدا لاقتصادها، وفتح المدارس تحت إشرافه يديرها ويدرس فيها خريجو مدارس وحملة فكر المغتربين فكريا وثقافيا، عن بلادهم لكي يخرجوا أشخاصا مستلبي الشخصية ويكون دورهم كالآلة في يد مالكها، وحاول الغرب تبعية المسلم له أن يجعله مرتبطا ثقافيا بها، وهذا الصراع الثقافي غرس القيم والمفاهيم الغربية تتنافى مع خصوصيات مجتمعنا الإسلامي، ونج عن هذا الصراع الثقافي أيضا ضياع الهوية وقيمها وطمس معالم الثقافة الإسلامية.

كما من الاكيد أن الصراع الحضاري يشمل الصراع الديني باعتبار الدين عنصر أساسي في تكوين أي حضارة والدين في نذر الغرب ما هو سوى ظاهرة اجتماعية يمكن

[1] – مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ص 91.

[2] – مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص 113.

دراستها وإخضاعها لمستجدات عصره ولم يهم ما ينتج عنها من سلبيات وكان همهم أن يفصل الدين عن المجتمع فأول شيء قام به المستعمر هو تدمير المساجد وتحويلها إلى كنائس وملاهي من أجل القضاء على الإسلام لأن المسلمين متمسكين بعقيدتهم، ويعتبر الدين الحجر الأساسي لنشر القيم والأخلاق الفضيلة، فقد أراد الاستعمار أن تبقى دائما متفرقين ومتشتتين لا تجمعنا لا عقيدة ولا دين، ولا يكون بيننا وعي وأعطى مالك بن نبي مثال حي على ما عاشته الجزائر من ظلم واحتقار وجهل وأمية وطمس الهوية والدين، إن التلويث الذي قام به غايته إحداث طلاق بينه وبين الإسلام الذي يشكل الحصن المنيع في يقظة الشعوب وتطورها إن ديننا الإسلامي فيه من الحلول للقضاء على مشكلاتنا الحضارية كيف لا وأن القرآن الكريم قام بعملية تغيير شاملة للثقافة التي كانت سائدة عند الغرب الجاهلين، حاول تدمير كل شيء مرتبط بالإسلام، إنهم لم يكتفوا باحتلال الأرض والسلطة بل عملوا على احتلال العقول ونفسيتهم فهدفهم المنشود هو الهيمنة التامة على المجتمع الجزائري بكل عناصره ومؤسساته، بما فيها الاسرة والمدرسة والمسجد وعناصر الثقافة من دين ولغة وقد حاول جعل الشعب الجزائري شعبا مغايرا لحقيقته منسلخا عن دينه وعن انتمائه الحضاري، راضيا بالتبعية فيقول مالك بن نبي «ويريد من انحطاطا في الأخلاق كي تشيع الرذيلة بيننا تلك الرذيلة التي تكون نفسيته رجل (القلة) فيجدنا أسرع إلى محاربة الفضيلة»[1]، أي أنه يسعى لنشر الرذائل ، يريد تغير أخلاقنا الإسلامية يريد تشييع بيتنا المحرمات والفحشاء والمنكر، ولكن يجدنا في المرصاد فنتمسك بأخلاقنا، كما يقر مالك بن نبي «والحق أننا لم ندرس بعد الاستعمار دراسة علمية، كما درسنا هو حتى أصبح يتصرف في بعض مواقفنا الوطنية وحتى الدينية، من نشعر أو لا نشعر»[2] بمعنى إن استطاع أن يتغلغل وسط المجتمع ووسط الأفراد وعرف نقطة ضعفهم، واستغلها لصالحه فكانت نواياه

[1] – مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1979، ص153.
[2] – نفسه ، ص 155.

الخبيثة الباطنية هي طمس معالم الإسلام وأراد التفرقة بين المسلمين وإثارة الفتنة، فحدث الصراع الديني بين ما يدعو إلى تقليد الحضارة الغربية وبين من رفض ذلك وتصدى لهذه الأفكار، والصراع الديني من أهم الموضوعات التي تحدث عنها النابغة الجزائري مالك بن نبي وذلك لمكانتها الكبيرة أهميتها في حياتنا باعتبارنا مسلمين والدين هو مصدر قوتنا وإلهامنا وتفوقنا على غيرنا وتمسكنا، كما يشمل الصراع الحضاري على الصراع الاجتماعي ونستشهد بقوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[1] .

وهذه الآية تبين لنا ما يفعله الاستعمار في البلاد المستعمرة أي إذا دخلوا بلد عنوه أفسدوه وخربوه وقصدوا من فيها من الولاة والجنون فأهانوهم غاية الهوان، إما بالقتل أو بالأسر وهذا حال المستعمر.

ويرى المفكر مالك بن نبي في هذا فيقول «وهكذا يجد الشعب المستعمر نفسه محاصرا داخل دائرة مصطنعة، يساعد كل تفصيل فيها تزييف وجود الأفراد»[2].

أي أن الاستعمار الظالمة يحاصر المسلمين من كل ناحية ويقول كذلك «فلم يكف الاستعمار لحظة عن خلط الطاهر بالدنس، مدفوعا يتلك الفكرة الدنسة التي تملي عليه أن يوقف سير الشعوب نحو النور حفاظا على مصالحه المادية»[3].

بمعنى أنهم حاولوا تغير عاداتنا وتقاليدنا وحاولوا تشويه الحق وتشويه الإسلام ودس الأخلاق الرذيلة في المجتمع وحاولوا أن يوقفوا تطور الأمم ورقيها نحو الحضارة وفقا لمصالحهم المادية من استغلال الثروات والخيرات ونهبها استنادا لقول الفيلسوف مالك بن

[1]– سورة النمل، الآية 34.

[2] – مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص 110.

[3] – نفسه، ص111.

نبي «كلما وضع الاستعمار الترتيبات الخاصة اللازمة لإفقار المستعمر مادي، فإنه يتبعها بالترتيبات الخاصة بتلويثه الأخلاقي، ليزيد الافقار والتلوث معا في اتساع الهوة»[1].

نفهم من ذلك أن الاستعمار عمد على إفساد أخلاق الشعوب بكل الوسائل وساعد الشعوب على الفساد من فتح حانات وغيرها، حاولوا تغيير نفسية الشعوب وقد استغل بذل الاستعمار جهل الشعوب وميلها نحو السهولة فيبرم خططه ليضيف الخناق عليها فيقول «وعندما يرتخي التوتر في خيوط الشبكة فتصبح عاجزة عن القيام بالنشاط المشترك بصورة فعالة، فذلك امارة على أن المجتمع مريض وأنه ماض إلى نهايته أما إذا تفككت الشبكة نهائيا فذلك إيذان بهلاك المجتمع»[2] معناه إذا تفككت الشبكة الاجتماعية فذلك يؤدي إلى هلاك المجتمع، وقد أصبح المجتمع الإسلامي عاجزا، واستغل الاستعمار هذه الحالة المزرية وجد أرضه خصبة لطمس الهوية والحياة الاجتماعية وغرس العادات الغربية في المجتمع الإسلامي، وانتشرت البرغماتية في ذاكرة المسلمين فتفكك شملهم، والصراع الاجتماعي بين الغرب والشرق تمثل في كل الإشكال القمعية التي استخدمها الغرب لحقيق أهدافه وإشباع رغباته الحقيرة، فجوع الشعب وطردهم من أراضيهم وجهلهم، و بدل طباعهم، وأفسد أخلاقهم، وشردهم وقتلهم.

وقد حاول مالك بن نبي في تحليلاته وآرائه الاصلاحية من داخل المجتمع الإسلامي، أن يصحح هذه المقولات ويخطئ الشائعات التي نمط من الإسلام أولا وحضارته ثانيا، ومعتنقيه ثالثا وتحدث على ضرورة الدفاع عنه والحفاظ عليه وذلك بإصلاح النفس ثم الغير فيتم التآخي بين الشعوب والأمم، وقد عايش مالك بن نبي الصراع الإسلامي مع الغرب، وأدرك خطر استيراد الفكر وإضاعة الطاقات في الهباء وفي مالا يجدي نفعا واكتشف أن الاستعمار يسعر أن يجعل الفرد خائنا لمجتمعه وحاول تدمير كل حلف جميل وتحطيم

[1] – مالك بن نبي، في مهب المعركة، دار الفكر دمشق، سوريا، ط3، 2002، ص 44.

[2] – مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1974، ج1، ص 39.

السلوك، ومالك بن نبي يؤكد هنا على ضرورة تصحيح العقيدة وتقويتها في نفوس المسلمين وأكد على الرجوع إلى الأصل الذي انطلقت منه الحضارة الإسلامية، ودعا مالك بن نبي إلى الحوار الحضاري وأخذ موقفه من الدين الإسلامي، ومن قرأته للقرآن الكريم، أي نظرة مالك بن نبي للصراع أنه حلل الظاهرة الصراعية، عرف أماكن الضعف وكان موقفه أنه رفض هذا الصراع الحضاري و دعا المسلمين لتصحيح عقيدتهم والتمسك بها لمعالجة المشاكل التي تواجهه من الغرب وليعرف كيف يتصدى، ويحث على ضرورة الرجوع إلى الأصل وهو الإسلام، كما دعا إلى ضرورة الاحترام بين الأنا والآخر، والتواصل مع الآخر والانفتاح عليه، وتشكيل علاقة ودية معه يسودها السلام والاحترام.

## المبحث الثاني: موقف روجيه غارودي من حوار الحضارات

روجيه غارودي (1913-2012): فيلسوف وكاتب فرنسي اعتنق الإسلام سنة 1982 وألف الكثير من الكتب قبل إسلامه وبعد إسلامه ومن الكتب التي ألفها قبل إسلامه كتاب حوار الحضارات واعتبره مشروع كوني ومشروع أمل على السلم العلمي وحاول في كتابه أن يدعو إلى حوار الحضارات، وكان يخص بهذه الدعوة الحضارة الغربية ورأى غارودي أن صراع الحضارات وصدامها هو صيحة خوف وتحذير من الغرب.

ولم يكن إسلامه لمحة برقت أو خاطرة عرضت فقد دخل دروب الفلسفة والسياسة، وبعد انخراط في المادية وفلسفتها، حيث يعد من أعظم الفلاسفة المعاصرين غرف من كأس العلوم الغربية وشرب منها حتى الثمالة وتعمق في دراسة أفكارها ومذاهبها، وجعل فكرة خدمة للجماعة الإنسانية حيث ناصر المظلومين في الشرق وبين أوهام الغرب، وناضل من أجل الحقيقة والعدالة وهذا ما جعله يتلقى الكثير من النقد والاقصاء والتهميش، وقد نال لقب فيلسوف الإنسان عن جدارة وتوطدت علاقة روجيه غارودي بالإسلام أكثر بفعل مطالعاته وجولاته في البلاد الإسلامية واحتكاكه بالمفكرين المسلمين والعلماء وهذا ما جعله أكثر فهما للإسلام وبعده الإنساني وفي كتابه حوار الحضارات خصص فصلا كاملا للحديث عن الإسلام، وقد حاول النضال والكفاح السياسية لأجل تحقيق مشروعه الإنساني وتجسيده واتبع أسلوب الحوار الحضاري مع كل من يهمه إنقاذ الإنسان والحضارة المعاصرة من المصير الكارثي.

### أولا: نقد الحضارة الغربية:

نجد أن غارودي انتقد الحضارة الغربية وعمل على التخلص من التفكير إلا هوتي الذي مع الحضارة من التطور قرونا، ورأي أن القرن العشرين قرن الوحشية والظلم والاحتقار، ويصف القرن العشرين بأنه تميز بالذاتية، ويرى أن هناك تحولات كبيرة وقعت في هذا العصر.

ويرى روجيه غارودي أن النهضة لم تكن مجرد حركة ثقافية بل كانت مولدا مزدوجا للرأسمالية والاستعمار، وأن الغرب كانوا يمتازون بنزعة المركزية وذلك حسب قوله «تلك هي الأسطورة الأولى لنزعة أوروباالمركزية التي يحسن تبديدها كما لو كانت حلما كاذبا»[1] بمعنى أن النزعة المركزية هي الروح التي تنطلق منها الحضارة الأوروبية في العصر الحديث، وكان روجيه غارودي منتقدا لهذه المركزية الغربية لأنها تعتبر أحد الأسباب التي أدت ظهور معظم الأزمات الفكرية كما انتقد كلمة الغرب وذلك استنادا لقوله «إذا رفضنا اعتبار (الغرب) ماهية جغرافية، ونظرنا إليه باعتباره حالة فكرية متجهة نحو السيطرة الطبيعية والناس»[2].

ونفهم من ذلك أن الغرب يهدف للسيطرة على الطبيعة وعلى الناس باستعمارهم واتغلالهم وجعلهم في خدمتهم، واعتبر كلمة الغرب كلمة لها حمولة كبيرة جدا وهو لا يحبذ هذه الكلمة بسبب ما تحمله من سلبيات فيقول «إن كلمة الغرب كلمة رهيبة إنني لا أحب لفظة (الغرب) وقد حملوها عددا كبيرا من التعريفات التي خدمت قضايا مشبوهة في تقسيم العالم ويؤكد (بول فاليري) على أن أوروبا تقاليد ثلاثة في المجال الأخلاقي المسيحية، ويوجه أدق الكاثوليكية في مضمار الحقوق والسياسة والدولة تأثير موصول للقانون الروماني في حقل الفكر والفنون»[3] ويعين ذلك أن الغرب حاول بكل الروسائل تقسيم العالم وتشتيته وغارودي يكره الغرب وينتقده بشدة ويعتبر الغرب هو المسؤول عن مأساتنا، وقد سلكت طرقا بشعة الهدف منها إضعاف الآخر وإخضاعه لسلطتنا وجبروتنا.

يقول روجيه غارودي «إن التخلف هو التعبير الدال على علاقة استغلال بلدا آخر»[4].

[1] – روجيه غارودي، وعود الإسلام، ترجمة ذوقان قرقوط، دار الرقي، بيروت، لبنان، ط 2، 1985، ص 18.

[2] – روجيه غارودي، حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا،عويدات للنشر والطباعة، بيروت لبنان، ط 4، 1999، ص 18.

[3] – نفسه، ص 17.

[4] – نفسه، ص 40.

أي أن الغرب نهب واستغل ثروات وخيرات القارات الثلاث وهو السبب الرئيسي في تخلف العالم الثالث وتدهور حاله وكثرة مشاكله، وحروبه وما نتج عنها من دمار وخسائر في الموارد البشرية والمادية، وتراجع الاقتصاد.

كما صور لنا روجيه غارودي عمل الغرب وحشيتهم وظلمهم فيقول «إن اللوحة الرهيبة التي رسمها الانجليزي العظيم (تورنر) وعنوانها (النخاسون) تظهر عبيدا يلقي بهم من فوق ظهر سفينة إلى البحر ولا ربيب بسبب وباء انتشر في المركب، وثمة أسماك القرش تتأهب لالتهاهم إنها وسام نذالة الغرب الرأسمالي»[1]

وهنا يرى روجيه غارودي أن القرن العشرين تميز بالخراب والعنصرية والأنانية وتمجيد الذات وكان القرن الواحد والعشرين إستمرارية له فقط، ولم يتحرر من هذه الصفات وهذه الفوضى التي أصابته، وصفه التعالي عندهم سببها اعتبارهم أنهم شعب الله المختار، ويرى روجيه غارودي أنه من واجبه تنبيه هذه الشعوب وتوعيتها بالخطر الذي يحدق بها، ويرى أيضا أن الغرب إتبع آليات متعددة لقمع شعوب العالم حفاظا على مصالحه.

**ثانيا: حوار الحضارات**

الدعوة إلى الحضارات من اهم الخصائص التي ميزت النصف الثاني من القرن العشرين، وذلك لأن الحضارات التي تكونت وازدهرت مرت على مجموعة من القيم والمعتقدات توارثتها الأجيال جيل تلو الآخر، واختلفت تلك القيم والمعتقدات بحد ذاتها من حضارة لأرى والثقافات من أهم المواضيع المتداولة فلا بد من أُشارة إلى المعادلة تأتي كالتالي كلما تقدم الحوار تراجع الصراع، وكلما تراجع الحوار رحل وسيطر محله الصراع والقتال، حوار الحضارات فكرة أو من تكلم عنها هو الفرنسي روجيه غارودي عبر نظريته الرائدة ومشروعة للجمع بين الحضارات على مستوى شعوب الأرض وسماه بحوار الحضارات لأن الحضارات يجب أن تتجاوز لا تتحادم، فالعالم يعيش مرحلة مخيفة ويمر

[1] – روجيه غارودي، حوار الحضارات، ص42.

بمتغيرات صعبة في ظل تنامي العولمة فنجد أن المجتمع أصبح يتحدى الكثير من أخطار الأفكار الرائجة التي تهدد أمنه وحوار الحضارات هو التشاور والتفاعل الثقافي بين الشعوب والقدرة على التكيف مع الأفكار المخالفة وقد حاول غارودي أن يوجه الغرب إلى مشروعه الحضاري هذا المشروع الذي يشارك في نهجه جميع الأمم بمختلف حضارتها فيقول عن هذا المشروع «ومن شأن ابتكار مستقبل حقيقي أنه يقتضي العثور مجددا على جميع أبعاد الإنسان التي نمت من الحضارات وفي الثقافة اللاغربية وبهذا الحوار بين الحضارات وحده يمكن أن يولد مشروع كوني يتسق مع اختراع المستقبل وذلك ابتغاء أن يخترع الجميع مستقبل الجميع»[1] وعليه فإن غارودي يدعو الغرب أن يعيد النظر إلى ذاته إلى الآخر والانفتاح عليه وأن يتعلم منه الحضارات ويستفيد من تجارب الحضارات الأخرى لحقق تكامل ويبتعد عن الصراع الذي عاشه وعانت منه الإنسانية، كما حاول روجيه غارودي أن يدفع بالغرب إلى رؤية مغايرة للمستقبل الذي يمجد فيه ذاته ويقصي الآخر، ومن شروط الحوار الحضاري في نظر غارودي أن يكون الحوار متبادلا ومشتركا ليس من طرف واحد أي التفاعل بين الطرفين، ونجد غارودي يدعو إلى فتح حوار حقيقي ويقول «لا توجد حضارة في جزيرة، وإن الحضارة منذ أولى خطواتها تتألف من شبكة انتشار كلي»[2] .

ونفهم من هذا القول أن كل حضارة تأخذ من الحضارة التي سبقتها، وكان يريد من الغرب أن يتفاعل مع ثقافات العلم لأنه شهد حضارات عريقة وعمرت عدة عصور واستفاد منها الإنسان وغيرت مصيره كما ذكر روجيه غارودي فضل العرب على الغرب وهذا استنادا لقوله «إننا ندين كذلك للعلم العربي بكليات الطب الفرنسية الأساسية، وقد كانت (مونبيلية) في طبيعتها، وقد كتب الطب العربية، مثل كتب الرازي الشهيرة تنشر وتدرس من القرن

[1] – روجيه غارودي، حوار الحضارات، ص10.

[2] – نفسه، ص 156.

السادس عشر في فرنسا»[1] وهذا يعني أنه كان للحضارة الإسلامية والعرب فضل كبير على الحضارة الغربية وأن أوروبا تعلمت وتتلمذت على يد العلماء والمسلمين العرب لكون المسلمين شعوب حفظت العلم واحتضنته كما يقول «وكان العرب من القرن الثامن يجرون عملية سحب الماء الأزرق بإبرة جوفاء وقد عرفوا الجبر بأكثر مما نعترف لهم به»[2] .

ومعنى ذلك أن المسلمين كانو فنانين وشعراء وفلاسفة وعلماء رياضيات وكميات وفلك وفيزياء باختصار كانوا متحضرين في وقت كانت أوروبا تتمرغ في الهمجية، كانت الحضارة الإسلامية هي العظمى، وقد إستفاد الغرب من كتب الطبيب الكبير أبو بكر الرازي واستفادو من الخوارزمي في الرياضيات لأنه أدخل نظام العدد العشري وحول الرموز إلى أرقام وأدخل علم الجبر كما أن غارودي صرح عن سبب طرده من تونس سنة 1945 وذلك حسب قوله «ان الحضارة العربية كانت تسيطر إلى حد كبير على الحضارة الغربية حتى القرن الرابع عشر»[3].

أي عندما أقر غارودي بفضل الحضارة العربية سبب له الطرد ونفهم من خلال قوله على الحضارة العربية قوية وإسهاماتها كثيرة في شتى المجالات، وتحدث غارودي كثيرا على المجهودات العرب لأنه كان يدرك جيدا فضلنا عليهم وما قدمناه للإنسانية وكان هذه غارودي من المشروع هو نزع فتيل الحروب والدمار الذي عاشته الإنسانية وفي تعريف روجي غارودي للحوار بين الحضارات يقول «فإن حوار الحضارات قد أصبح ضرورة ملحة ولا يمكن الاعتراض عليه، إنه مسألة بقاء لقد بلغ السيل الزبى»[4] .

وهنا يدعونا إلى ضرورة الحوار لأنه لا يوجد بديل غير ذلك لأن الوضع تدهور كثيرا وأصبح لا بد من اللجوء إلى الحوار لحل هذه المشاكل التي تفاقمت وزادت مع مرور الزمن

[1] – روجيه غارودي حوار الحضارات، ص84.

[2] – نفسه، ص84.

[3] – نفسه ، ص 85.

[4] – روجيه غارودي، وعود الإسلام، ترجمة ذوقان قرقوط، دار الرقي، بيروت، لبنان، ط2، 1985، ص20.

وأوشكت البشرية على فنائها، وكثر الصراع والصدام بين الحضارات وولد حروبا، وهذه حياة البشرية، وأمان الأفراد واستقرارهم، كما سلبهم حقوقهم.

ويقر غارودي بفضل حوار الحضارات الذي دعا إليه فيقول «إن حوار الحضارات يساعنا بذلك على تفتح في الصعيد الثقافي على آفاق لا نهاية لها في المنظور الذي توحي به في جميع المجالات أحدث تجددات الثقافة الغربية»[1].

أي أننا بالجوار مع الحضارات تنفتح على الثقافات الأخرى ونصبح عن قرب كبير من الآخر.

وكان يطمح غارودي أن يكون للعالم دين واحد وأمة واحدة وعقيدة واحدة.

إن الدعوة إلى الحوار في نظر روجيه غارودي هي دعوة إلى الاهتمام بالمستقبل ويؤكد ذلك استنادا لقوله «ولا يقتصر وعي الحضارات وخصبه في عصرنا على فائدته التاريخية وحسب بل إنه ينهض يدور أمامي لأجل اختراع المستقبل»[2]

والمستقبل الذي يشير إليه روجيه غارودي هو المصير المشترك بين الأمم الذي لا يتحقق إلا الحوار.

والهدف من الحوار هو انتصار الواحد والكل على الخصوصيات القديمة وكان يطمح من خلال مشروعيه الحضاري هو خلاص الإنسانية من التصادم والصراع والفوضى، إن فلسفة الحوار ضرورية لبناء حياتنا الحضارية، ويرى أن عوائق الجوار التعصب للدين والآخر والعقيدة، وحل هذه المشكلة يكون في التخلي عن هذه العقد ونضرة غارودي في الانفتاح والحوار الغربي مع سائر الحضارات الأخرى يرى أن المشكلة هي مشكلة احداث تغيير جذري وكامل في الأنموذج الغربي في علاقته مع الطبيعة كما نجد روجيه غارودي في كتابه حوار الحضارات كشف الوجه الحقيقي للغرب وفضح جرائم ذلك الرجل الأبيض

[1] – روجيه غارودي، حوار الحضارات، ص216.

[2] – نفسه، ص 115.

وقسوته وحاول عن طريق أفكاره أن يضع الأمور في نصابها ووعى إلى التعاون الثقافي بين مختلف الشعوب ودعا إلى الحوار الذي يكون أساس الاحترام بين الأنا والآخر والتقدير المتبادل بعيدا عن الهيمنة والسيطرة والاستعمار والاستغلال مع الحفاظ على الخصوصية الثقافية لكل شعب، ويعتبر أن حوار الحضارات هو الذي يرتقي بالبشرية من عنف الهيمنة إلى عنفوان التعايش السلمي، كان مشروع غارودي يرسم أملا كبيرا في رؤيته يتوقف أمام التوابت والقيم العقائدية الدينية حيث يقول: «فحوار الحضارات هو وحده الكفيل أن يعطي للإنسان المعاصر بعده الروحي المفقود، وبهذا الحوار يمكن أن يولد مشروع كوني يتسق مع اختراع المستقبل»[1] .

بمعنى في حوار الحضارات خلاص الأمم وهو الكفيل بارجاع كرامة الأمم المسلوبة ويرجع لها بعدها الروحي.

كان موقف روجين غارودي من حوار الحضارات أنه دعى إليه وبشدة وكانت نظرته تستوحي الانفتاح والحوار مع الغرب ومع سائر الحضارات الأخرى، ويدعو إلى الحوار مع الآخر والاعتراف به والتعرف عليه وإدراك حقيقته من أجل إحداث التعامل وتجاوز عقدة النقص والتأسيس لحضارة عالمية، لأن المجال الفكري الحواري هو القاعدة الرئيسية لخلف فرص الاستثمار لاسيما في المجالات التنموية، التي تعاني من ضمور في عالم الجنوب والعالم الإسلامي إذ سيحقق التنمية إقليما حضاريا أكثر استقرار، لأن الحوار يحقق الانصاف والعدل والمساواة ويبعد التعصب والكراهية، ويستبعد فكرة التبعية والاستعلاء والحوار يهدف إلى عدم إلغاء الآخر.

[1] – روجيه غارودي، لماذا أسلمت، مكتبة القرآن للطبع والنشر، القاهرة، مصر، (د ط)، 1982، ص 60.

## المبحث الثالث: البناء النهضوي عند مالك بني نبي

يعتبر مالك بني نبي من أعلام النهضة الإسلامية الحديثة فقد شغلت قضية النهضة حيزا هاما من كتابات مالك بن نبي، لأنه كان يريد تقديم مشروع نهضوي للعالم العربي والإسلامي لتطوير وتقدم المسلمين في شتى المجالات لأن مالك بن نبي كان يدرك جيدا الفرق بيننا وبين الغرب لكثرة احتكاكه بهم، ولم يكن مالك بن نبي وحده الذي شغلته مشكلة النهضة بل جل العرب ولهذا يعتبر مصطلح النهضة من أكثر المصطلحات تداولا والأكثر حضورا فقد شغل الفكر العربي وشكل أرضا خصبة للدرس الفلسفي وقد تعددت تعاريف ومفاهيم النهضة.

### أولا: تعريف النهضة

### أ-النهضة لغة:

يعتبر مصطلح النهضة حديث التداول في الفكر العربي فنجد معناه في المعجم الوسيط «النهضة فعل نهض نهضا ونهوضا: قام يقظا نشيطا ويقال: نهض من مكانه إلى كذا نهض إلى العدو، أسرع إلى ملقاته».[1]

أي أن معنى النهضة هي القيام والنهوض.

### ب- النهضة إصطلاحا:

«تطلق كلمة النهضة على الحركة الثقافية التي بدأت في ايطاليا في منتصف القرن الرابع عشر، واستمرت حتى القرن السابع عشر وامتدت من ايطاليا إلى بقية أوربا، وكانت تعرف باسم الأحياء Restitito، لأنها أحيت التراث اليوناني وانفتحت على ما به حتى ولو خالفت الايمان والكنيسة وقد تمثل ذلك في احياء الفلسفة»[2] أي النهضة هي حركة ثقافية وبدأت من ايطاليا في القرن الرابع عشر، إلى غاية القرن السابع عشر، وكان استعمال أو

[1] – مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 2004، ص 958.

[2] – عبد المنعم الحنفي، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط2، 1999، ج2، ص 1432.

مصطلح لكلمة النهضة كان في أوربا بعد أن وقعت أوربا في العصور الوسطى تحت هيمنة رجال الكنيسة على مختلف شؤون الحياة، فحاربوا المفكرين وحاكموهم بقسوة فقد عم الجهل، وإن عصر النهضة يؤرخ له من فترة الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة التي يؤرخ لها بسقوط القسنطينية حيث نزح العلماء إلى إيطاليا حاملين معهم التراث اليوناني والروماني.

**ج- النهضة عند العرب:**

أما مصطلح النهضة العربية تداوله المفكرين العرب بعد أن وجدو نفسهم في مقارنة مع الغرب، كما تعرف النهضة العربية باسم اليقظة العربية، أو حركة التنوير العربية وهي الحالة الفكرية والاجتماعية التي سادت أساسا في مصر ولبنان وامتدت لتشمل عواصم عربية أخرى كدمشق، بغداد، مراكش..... وغيرها.

كما هناك من يرجعها إلى هبوط الجيش الفرنسي بمصر «وهذا الكلام عن ميلاد عصر النهوض الذي نعيشه لا بد ان يكون موجزا جدا، لأن ذلك العصر بدأ أقل من قرنين من الزمان فقد بدأ بالضبط في ظهر أول يوليو 1978 عندما هبطت قوات الجيش الفرنسي وعددها 32000 مقاتل على رأسها الضابط الشاب نابليون بونابرت شاطئ العجمي الاسكندرية معلنه بذلك عصر المماليك وبدء نهاية العصور الوسطى لعالم العرب»[1] .

ويقصد بذلك هناك بعض المؤرخين يرجعون تاريخ بدء النهضة عام 1798 إلى الحملة البونابرتية وكان من أبرز مظاهرها انتشار الطباعة وظهور الصحافات ودور النشر والتوسع في انتشار المدارس والجامعات وإحياء التراث العربي وتحقيقه ونهوض اللغة من كونها التي عرفتها في عصر الانحطاط.

يمكن إعطاء نموذج من حركات النهضة في العالم العربي الإسلامي مثل نهضة رفاعة الطهطاوي (1801-1873).

[1] – حسين حنفي، تاريخ موجز للفكر العربي، دار الرشاد، القاهرة، مصر ، ط1، 1996، ص338.

أن الاطلاع على تجربة الطهطاوي ومنهجه في التغيير نج أنفسنا أمام تجربة كانت بمعظمها أسيرة لعهده محمد على باشا في الحكم «وجاء رفاعة الطهطاوي إلى الأزهر عام 1817 وقضى به متعلما حوالي خمس سنوات، وكان أبرز أساتذته الشيخ العالم الفاضل المتفتح حسن العطار (1766-1835) وهو الذي ساعدته على ذهن الفتن رفاعة لتقبل العلوم العصرية وأهم أقواله " أن بلادنا لا بد أن تتغير أحوالها ويتجدد من المعارف ما ليس بها"»[1] .

تتبع منهجية الشيخ حسن العطار في الجمع بين العلوم الحديثة في الطب والفلك والهندسة ويدمجها بالعلوم الشرعية والاجتماعية في جامعة الأزهر مما جعل كثيرا من الباحثين والمستشرقين يعتبرونه رائد التجديد الأزهري الحديث ولم يكن شعاره الذي أشرنا إله سابقا في القول مجرد شعار نظري بل طبقه تطبيقا علميا فدرس وألف وصنف في فنون شتى لم تكن موجودة في عهده وهو الذي أرسل رفاعة الطهطاوي إلى فرنسا ووجهه وأرشده إلى استيعاب ما يمكنه استيعابه من الحضارة الفرنسية، وكان يقصد بتحديد المعارف أي إدخال العلوم التي لم تكن متوفرة آنذاك، وكان تأثيره كبير على الطهطاوي، وقد ألف كتابه الشهير الإبريز في تلخيص باريز ألفه عندما رشحه الشيخ حسن العطار إلى محمد علي بأن يجعله مشرفا على رحلة التلاميذ إلى باريس في فرنسا ليكون المشرف عليهم ويرعاهم ويسجل أفعالهم، وكان من دعاة الحرية حسب القول «أكثر الصفحات تفصيلا في مؤلفات الطهطاوي لفكرة الحرية وجوانبها وأكثرها تنظيما كذلك، وهو يعلن في حسم أن الحرية "فطرية" للإنسان، الحرية منطبعة في قلب الإنسان من أصل الفطرة»[2]

إن فكرة الحرية عند رفاعة الطهطاوي هي الفكرة الأساسية والمركزية في كتابه تلخيص الابريز في تلخيص باريز ومعه كان ظهور تعبير الحرية الشخصية لأول مرة في

[1] – عزت قرني، العدالة والحرية في فجر النهضة، العربية الحديثة، سلسلة كتب عالم المعرفة، كويت، د.ط، 1980، ص 89-90.

[2] – عزت قرني، العدالة والحرية في فجر النهضة، العربية الحديثة، ص 59.

العربية، ومن آرائه المساواة وجه آخر للحرية السياسية فلا حرية حيث لا مساواة، والمساواة وجه آخر للحرية فلست حرا إن لم تتمكن مما تمكن من الآخرون.

سيطول بنا الحديث لو تحدثنا عن نماذج من حركات النهضة في العالم العربي فهي كثيرة مثل حركة جمال الجدين الأفغاني وخير الدين التونسي وغيره ..

**ثانيا: معوقات النهضة عند مالك بن نبي:**

برزت مشكلة التخلف كقضية مركزية في الفكر العربي مع الاستعمار للعالم العربي، حيث كان سؤال لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم سؤالا محوريا في كتابات ونقاشات المفكرين العرب والمسلمين وقد كان المفكر الجزائري "رحمه الله" وطيب ثراه مالك بن نبي واحدا من المفكرين الذين أرادو التعريف بالوقع الذي كان يعيشه العالم العربي والإسلامي في عصره، وقد شكلت كتاباته حقلا معرفيا مهما، حيث كان من المفكرين العرب المميزين الذين كتبوا نصوصا تعني بتقديم الوضع الذي تعيشه الجزائر والبلاد الإسلامية وعرضو مختلف مشكلاتها، ومن بين المشكلات التي تطرق إليها الفيلسوف مالك بن نبي مي مشكلة النهضة بالأمة الإسلامية، كان ينبغي طرح هذا الموضوع وقبل معرفة السبيل الأنجع لتحقيق نهضة فعلية يجب معرفة أسباب فشل النهضة أو معوقاتها سنشير باختصار لبعض المعوقات التي تناولها مالك بن نبي "رحمه الله".

**أ- غياب الفعالية:**

يرى مالك بن نبي أن الفعالية هي أحدى خصائص العقل الغربي وإن العقل العربي يخضع لمبدأ الفالية وهذا ما تعاني منه المجتمعات الإسلامية نقص فعالية يقول عن هذا مالك بن نبي «فإذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ وإذا سكن المجتمع والتاريخ، وذلك ما تشير إليه النظرة في تاريخ الإنسانية منذ أن بدأ التاريخ»[1].

[1]- مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2002، ص 129.

ويعنى بذلك أن مالك بن نبي ركز على الإنسان كقيمة فاعلة في البناء وفي هذا القول تنبيه لقيمة التطبيق الفعلي للأفكار بدل مداولتها كقيمة خاملة، واعتبر أن فاعلية المجتمع تنطلق من فاعلية الإنسان، وشرط الفاعلية الأساسي عند مالك بن نبي هو أن ينظر الإنسان إلى نفسه على أنه صانع التاريخ وحركه، فالتاريخ نتائج عملية وليس مقولات نظرية، ورأى أن مشكلة المسلم أنه لا يفكر ليعمل بل يفكر ليقول بمعنى يتكلم وفقط، وأدى ذلك إلى ضياع حياتنا الاستعادة من المال والوقت والعلم كما يقول مالك بن نبي في شروط النهضة «إننا نرى في حياتنا اليومية جانبا كبير من (اللافاعلية) في أعمالنا إذ يذهب جزء كبير منها في العبث والمحاولات الهازلة»[1] أي أن الشعب تنقصه الفاعلية إذ يهدر وقته وجهده في أشياء غير مفيدة إطلاقا لا تجدي نفعا ونحن نشكو برأي مالك بن نبي من افتقادنا إلى المنطق العملي في حياتنا استخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة كما يقول مالك بن نبي «فمن الأصوب أن نقول إنه يتكلم تبعا لمبادئ القرآن لعدم وجود المنطق العلمي في سلوكه»[2] أي أن الذي ينقص المسلم ليس منطق الفكرة ولكن منطق العمل والحركة وهو لا يفكر كما قلنا سابقا ليعمل بل ليقول كلاما مجردا، بل إنه أكثر من ذلك يبغض أولئك الذين يفكرون تفكيرا مؤثرا ويقولون كلاما منطقيا من شأنه أن يتحول في المال إلى عمل ونشاط ومن هنا يأتي عقمنا الاجتماعي.

**ب- تحلل شبكة العلاقات الاجتماعية:**

إن عالم الأشخاص يرتبط فيما بين بروابط اجتماعية قوية أطلق عليه مسمى شبكة العلاقات الاجتماعية ومن دون هذه العلاقات القوية لا يمكن للمجتمع من إنتاج الحضارة فيقول مالك بن نبي «أما إذا تفككت الشبكة نهائيا، فذلك إيذان بهلاك المجتمع وحينئذ لا يبقى من غير ذكره مدفونة في كتب التاريخ ولقد تحين هذه النهاية والمجتمع متخم

[1] – مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، د.ط، 1979، ص 96.

[2] – نفسه، ص 96.

بالأشخاص والأفكار والأشياء كما كانت حال المجتمع الإسلامي في الشرق في نهاية العصر العباسي وفي المغرب، في نهاية عصر الموحدين»[1] .

أي عندما تتحلل شبكة العلاقات الاجتماعية تؤدي إلى تحلل المجتمع ومن ثم وفاته حتى ولوكان يمتلك أفكارا خلاقة وحتى لو كان في أقصى درجات النضج العقلي.

ويقول «حين يقرض شبكة علاقاته التي تعني على أداء نشاطه المشترك بل هناك نوعين من خيانة المجتمع نوع يهدم روحه وآخر يهدم وسائله الخيانة الأولى تخلق الفراغ الاجتماعي والخيانة الثانية تخلف الفراغ حين توجه جميع الملكات المبدعة وجميع الفضائل الأخلاقية في المجتمع»[2].

ويوجد الكثير من المعوقات التي تحدث عنها الاستاذ مالك بن نبي مثل القابلية للاستعمار وغياب الوعي المنهجي وغيرها.

**ثالثا: سبل النهضة عند مالك بن نبي**

بعد فترة طويلة من الركود التاريخي والخلق الحضاري اصطدم العالم الإسلامي بالحضارة الأوربية التي اشتد عودهما وأحدث في التوسع والانتشار وخارج جغرافيتها الطبيعية، برز إلى السطح سؤال النهضة، كيف السبيل إلى النهوض من جديد؟ وهذا السؤال حرك المفكرين والمهتمين بنهضة العالم الإسلامي مالك بن نبي أحد هؤلاء، إن ما ميزه عن غيره هو اهتمامه بمشكلة النهضة في سياقها الحضاري الشامل.

إذا أردنا النهوض علينا أن نبدأ بإصلاح أنفسنا وليس شيء آخر، ووسيلة هذه الغاية عند المفكر مالك بن نبي هي الآية القرآنية الكريمة ﴿إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.[3]

[1] – مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1971، ج1، ص 39.

[2] – نفسه، ص 91.

[3] – سورة الرعد، الآية 11.

**أ-تغيير نفسية المسلم:**

إن تغيير نفسية المسلم هي علاجه من كل داء فتاك وعلاج لواقع الأمة الإسلامية مما حل بها منذ قرون خلت يقول مالك بن نبي «ونحن أحوج ما تكون إلى هذا المنطق العلمي في حياتنا لأن العقل المجرد متوفر في بلادنا، غير أن العقل التطبيقي لذي يتكون في جوهره من الإدارة والانتباه فشيء يكاد يكون معدوما».[1]

وهذا يعني أننا نعيش حالة ركود وعقم اجتماعي فالمستعمر الذي خرج من بلادنا منذ سنوات لا يزال يعيش فينا، فالتغيير مهم لأنه يعني استعادة الهمة وإشعاع الروح الذي توقف أي قوة الإيمان، التغيير هو جوهر التجديد والبناء الحضاري، فالتغيير هو بداية طريق النهوض بالأمن الإسلامي، فلو يتغير كل شخص يصلح المجتمع وتصلح الأمة وبصلاحهم تقوم النهضة.

وللنهوض بالأمة الإسلامية يقول مالك بن نبي في تصليح العلاقات الاجتماعية.

**ب- بناء شبكة العلاقات الاجتماعية الممزقة:**

إن أول عمل يؤديه المجتمع عند ولادته هو بناء شبكة العلاقات الاجتماعية القوية ويضرب لذلك مثلا بميلاد المجتمع الإسلامي في المدينة حيث أحق النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار «إن شبكة العلاقات هي العمل التاريخي الأول الذي يقوم به المجتمع ساعة ميلاده»[2].

ويقصد بذلك أنه بالعناية بسلوك الفرد وثقافة المجتمع يرسم مسار الحضارة والتقدم فتكون شبكة العلاقات الاجتماعية دليل على النهوض وبناء حضارة قوية فشبكة العلاقات شرط لوجود النشاط المشترك داخل المجتمع ولكي تضع التاريخ لابد أن يكون هناك نشاط مشترك يجب أن تكون شبكة علاقاتنا قوية ومتماسكة ومنسجمة، ويحدث الانسجام بتغيير

[1] – مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د. ط)، 1979، ص 95.

[2] – مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ص 25.

نفسه الفرد لأنه مرض المجتمع يرجع إلى تضخم الأنا وتنامي النزعة الفردية داخله، حيث أن الفرد يبحث عن معالجة الشخصية ومنافعه الذاتية دون الالتفات إلى مصلحة المجتمع، فيغيب التعاون، والمجتمع القوي حسب مالك بن نبي هو المجتمع القادر على احداث التغيير وهو مجتمع يملك شبكة علاقات قوية وصحيحة، شبكة تربط أبناء الأسرة الواحدة مع بعضهم البعض، وكهذا يمكن أن تكون نهضة حضارية، ويؤكد مالك بن نبي أن العلاقة الاجتماعية في جوهرها ما هي إلا تجسيد للعلاقة الروحية بين الله والإنسان.

**ج- التوجيه الأخلاقي:**

الذي يعني به مالك بن نبي تأثير العقيدة الدينية في مجال السلوك البشري، وتعتبر عنصر أساسي في الثقافة فالتوجه الأخلاقي يكون الصلات الاجتماعية ويحدد السلوك الجماعي داخل المجتمع وبديهي أن تكون ثقافة أي مجتمع ناشئ ثقافة أخلاقية.

ويتناول مالك بن نبي الأخلاق من الناحية الاجتماعية لا الناحية الفلسفية ويسعى مالك بن نبي إلى تحديد قوة الترابط والتماسك الضرورية للأفراد في مجتمع ما يريد تكوين وحدة تاريخية فيقول الأستاذ بن نبي «هذه الروح الخلقية منحة من السماء إلى الأرض، تأتيها مع نزول الأديان عندما تولد الحضارات ومهمتها في المجتمع ربط الأفراد بعضهم ببعض كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم قوله تعالى ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾»[1]

يرى هنا مالك بن نبي أن الدين هو سلوك أخلاقي ضروري تعمل النهضة، والاتقاء بالأخلاق والسلوك الإنساني هو الهدف الأساسي للحضارة، وقد جاء رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ليتم مكارم الأخلاق ليعلو ويسمو بها الإنسان إلى درجة يتميز فيها عن باقي المخلوقات، لذا فالعنصر النفس الإنسانية إلى الانضباط كي لا تطغى عليها النوازع العدوانية وحب التملك.

[1] مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 88.

**د/ تفعيل الدور الاجتماعي للدين:**

يرى مالك بن نبي أن تفعيل الدور الاجتماعي في الدين سبيل من سبل النهضة وهذا استنادا لقوله: «فالعنصر الديني بصفة عامة فضلا على أنه يغذي الجدور النفسية العامة على ما بيننا يتدخل مباشرة في العناصر الشخصية التي تكون الأنا الواعية في الفرد وفي تنظيم الطاقة الحيوية التي تضعها الغرائز في خدمة الأنا، ولما كانت هذه الطاقة الحيوية المنظمة تتحول إلى نشاط اجتماعي لدى الفرد وكان هذا النشاط لدى الفرد سببا في وجود النشاط المشترك للمجتمع التاريخ».[1]

وهذا يعني أن الدين عندما يقوم بوظيفته الاجتماعية يقوي شبكة العلاقات ويجعلها متماسكة، والدين هو الأساس الذي ترتكز عليه القيم الاجتماعية وهو عنصر جوهري في بناء الإنسان والحضارة والثقافة، وبناء الحضارة وبناء الإنسان وتحقيقه لذاته لا يقوم ولا يتأسس إلا بالعقيدة الدينية عن طريق معامل الفاعلية حيث يصبح المسلم شخصا فعال في التاريخ.

**هـ/ إرجاع الفعالية إلى العقيدة الإسلامية:**

يؤكد المفكر مالك بن نبي على إرجاع هذه الفاعلية للعقيدة «فالمسألة لا تتمثل في تلقين أو إعادة تلقين المسلم عقيدته ولكنها فتمثل في إعادة تلقينه استخدامها وفعاليتها في الحياة إلا أن المصلحين قد أغفلوا وضع هذه المشكلة»[2].

ومعنى هذا يبحث مالك بن نبي عن كيفية تفعيل هذا الإيمان وإحيائه في النفوس لأنه يعتقد أن الإنسان المسلم انفصل من عقيدته وأصبح لا يعمل بها ولا يتأثر بها فبقيت فكرة مجردة بعيدة عن تأثير في الواقع الإسلامي، والخلل ليس في العقيدة بقدر ما هو في مجتمع تفككت علاقاته وروابطه الاجتماعية فأصبح الإيمان فرديا عاجزا عن أداء وظيفته

[1] – مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ص 66.

[2] – مالك بن نبي، القضايا الكبرى، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2000، ص 123.

الاجتماعية والحضارية والحديث حيث يشكل كيان وذات الإنسان المسلم وهو الذي يتدخل في بناء الذات من خلال تغيير نفس الفرد عن طريق توجيهه وإعادة تفعيل هذه الفكرة الدينية.

وفي الأخير يمكن القول أن مالك بن نبي كان يريد تحقيق نهضة حضارية وهذا بالاعتماد بصفة كبيرة على الذات وتغييرها ن ذات غير فاعلة إلى ذات تحمل إرادة ووحي عن طريق مراجعة هذه الذات، وعدم اهتمام الآخر على أنه هو السبب الرئيسي في التخلف وقد تأثر بالغرب وما حققوه من نهضة وتطور كان يريد من المسلم أن يكون كالأخر ويتأثر به، مع الحفاظ على التعاليم الإسلامية، ويكون الاحترام أساس النهضة ويمكن أن نخلص إلى نتيجة لا مفر منها أن نهضة العالم الإسلامي ليست بالمسلم المستحيل، لأنه عالم يزخر بالطاقات الشابة المستنيرة التي بوسعها أن تعيد مجره وتغيير التاريخ، وتؤسسه لواقع جديد متطور في جميع المجالات يضاهي الواقع الغربي ويتفوق عليه.

# الفصل الثالث:

## منظور مالك بن نبي للإستشراق وفكرة القابلية الاستعمار

المبحث الأول: موقف مالك بن نبي من القابلية للاستعمار

المبحث الثاني: مالك بن نبي وقفه من الاستشراق

المبحث الثالث: مالك بن نبي وقومه

**تمهيد:**

مر قرن وأكثر على ولادة المفكر الجزائري مالك بن نبي وجرى الحديث المتعدد عن بعض عن بعض أفكاره وأبرز هذه الأفكار هي فكرة القابلية للاستعمار والاستشراق، لأن مالك بن نبي عايش الاستعمار الفرنسي للجزائر، وقد اجتاح هذا الاستعمار أيضا البلدان الإسلامية في غضون القرنين التاسع عشر والعشرين وقد شكل هذا أرقا فكريا له، والذي جعلة لا يقتنع بالمبررات الظاهرية التي قدمت لتفسير هذه المشكلة، فراح مالك بن نبي بوغل في أعماقها ويحلل علاقتها للوصول إلى مكمن الداء الحقيقي، مستقرءا حال الأمة الإسلامية ليصل في نهاية المطاف إلى استكشاف داء القابلية للاستعمار، الذي يتطبع في نفوس الشعوب المستعمرة، ويؤدي بها إلى الخضوع والانحناء والوقوع فريسة لهذا الاستعمار الدنيء، ويأخذ مفهوم الاستعمار في تصور مالك بن نبي معنى السيطرة التي تجعل مقدرات الشعوب الضعيفة ضمن دائرة الاستغلال الحضاري للدولة المهيمنة وهي الحالة التي لازمت تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب أي بين الأنا الإسلامية والآخر الغربي، وإن مفهوم القابلية للاستعمار يستهدف التخلص من دائرة الأوهام والبحث عن سبيل الحضارة الأصلية يتدارك الأخطاء والسير دوما نحو الأمام، كانت نظرة مالك بن نبي للآخر الغربي أن مستعمرا، بالإضافة إلى دراساته الاستشرافية التي تعتمد عليها المستشرقين الذين درسوا، كافة البنى الثقافية للشرق، كما درس قضايا الإسلام والمسلمين في العقيدة، وفي الشريعة وفي السياسية، فأخذ مالك بن نبي موقفا من هذا الاستشراق على خلاف الكثيرين، فما هي نظرة مالك بن نبي لهذا الاستشراق؟

وما هو موقفه من فكرة القابلية للاستعمار؟

مالك بن نبي كغيره من المفكرين الذين دافعوا عن وطنهم وحملوا همومه، واشتغلوا بمشاكله، فقد حمل هم الجزائر وهو صغير بسب معايشته للاستعمار الفرني للجزائر، وما

نتج عمه من تخلف وجهل وإبادة، فقرر الدفاع عنه وحاول النهوض بهذه الأمة الإسلامية فهل كان له الصدى القوي بين قومه أو همش وكان منسيا؟

**المبحث الأول: موقف مالك بن نبي من القابلة للاستعمار**

أحدث مالك بن نبي نقلة نوعية في الفكر العربي، ونبغ في اكتشاف ظاهرة جديدة رغم قدمها، حيث ركز قبله علماء الاجتماع والسياسة على الاستعمار، باعتباره متغيرا مستقلا، ويعتبر مالك بن نبي واحد من أهم المفكرين الذين وظفوا جهودهم في خدمة قضايا أمتهم، وكان يحاول مواكبة العصر، بمنهج فعال لذلك قدم مشروعا فكريا متكاملا في وقت كانت على أسلوب الابادة والاقصاء، وأسست لفكر عنصري يقوم على أفضلية وأحقية الغرب في تسيد الحضارة وقد واجه مالك بن نبي هذه الدعوة مشخصا أثرها على واقع المسلمين بمصطلح القابلية للاستعمار، نظرا لما ينطوي عليه هذا المصطلح من نظرة فاضحة دقيقة للمرض الذي يعانيه الفرد نفسيا في المجتمعات المختلفة.

**أولا: مفهوم الاستعمار**

**أ- لغة:**

«كلمة الاستعمار مأخوذة من العمارة»[1] أي أن الاستعمار طلب التعمير.

وفي القرآن الكريم يقول عز وجل ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [2] أي أن الاستعمار هو التشييد والتعمير.

**ب- اصطلاحا:**

«الاستعمار أطلق على استيلاء شعب بالقوة العسكرية على شعب آخر، لهب ثرواته، واستلال أرض، وتسخير طاقات أفراد لمصالح المستعمرين»[3].

[1] – محمد بن ناصر الشتري، التنصير في البلاد الإسلامية، دار الحبيب، الرياض، ط1، 1998، ص61.

[2] – سورة هود، الآية 61.

[3] – عبد الرحمان حسن حذبكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، دار القلم، دمشق، سوريا، ط 8، 2000، ص 54.

أي أن الاستعمار هو ظاهرة تهدف إلى سيطرت دولة قوية على دولة ضعيفة وبسط نفوذها، من استغلال خيراتها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وهي بالتالي نهب وسلب لمعظم ثروات البلاد، وتدمير تراثها الحضاري، والثقافي وفرض ثقافة الاستعمار، على أنها الثقافة الوحيدة القادرة على نقل البلاد المستعمرة إلى مرحلة الحضارة، والاستعمار واخضاع جماعة من الناس الحكم أجنبي، إن الاستعمار مهما تعددت أساليبه وأشكاله، فهو حركة توسع من جانب الدولة القوية على حساب دول أخرى تقوم باحتلالها واخضاعها بالقوة بهدف نهب ثرواتها.

**ثانيا: الاستعمار عند مالك بن نبي:**

**1- أنواع الاستعمار:**

لقد ميز مالك بن نبي بين الاحتلال:

أ- **المؤقت:** فيقول مالك بن نبي «الاحتلال المؤقت فإنه لايوثر في حياته إلا بصفة عابرة كمجرد حدث يخضعه مؤقتا لحاجات جيش أجنبي يفرض متطلبا من حيث الأمن والتمين في البلد المحتل وذلك طبقا لشروط يهيمن عليها قانون عسكري، ينتهي نفوذه مع تصفية الوضع الحربي»[1] .

يعني الاحتلال المؤقت يتمثل في نول حيش أجنبي على أرض شعب آخر ويكون هذا النزول بصفة عابرة ومحددة حسب ما تستلزمه الأوضاع، وينتهي نفوذ هذا الاحتلال مع تصفية الوضع الحربي وهذا الاستعمار كما قلنا عابر وليس دائم غالبا ما تكون أسبابه احتياجات عسكرية من أجل تلبية مطالبه أثناء الحرب مع استغلال ثروات ونهب وغيرها، فينتهي هذا الاحتلال عندما يتم تصفية الأمور الحربية بين الطرفين ولذلك سمي مؤقت.

ب- **حالة الضم:** «وأما في حالة الضم فإن الأشياء تتخذ اتجاها آخر يؤثر في حياة الشعب الذي جرت عليه عملية الضم من الداخل، حتى إنه يتغير أحيانا مصيره في التاريخ

[1]- مالك بن بني، في مهب المعركة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط3، 2002، ص32.

بصورة مطلقة، وعندما يقع مثل هذا التغيير فهو يظهر في صورة مجتمع جديد، تكون فيه البناءات الداخلية نتيجة اندماج خصائص»[1].

أما النوع الثاني فهو الأخطر عند مالك بين نبي، ويتخذ معنى آخر من خلال التأثير في حياة الشعب المراد ضمه، وهنا يمتزج الشعبان الضام والمضموم وليس شرط أن تكون خصائص الغالب هي السائدة بل تكون حياته مطبوعة بخصائص المغلوب، ويسعى إلى طمس الهوية وذلك عن طريق الدمج بين مقومات ومبادئ الدولتين حيث يكون هناك انتصار طرف على طرف آخر، وليس انتصار مادي فقط بل معنوي باعتباره يمس معتقدات وممارسات تلك الشعوب.

**2- أشكال الاستعمار:**

عملية الضم حدد لها مالك بن نبي شكلين أساسين هما:

**أ- الاستعمار المتحفظ:**

يعرفه الاستاذ مالك بن نبي «لا يتدخل مباشرة في نواحي حياة المستعمر جميعا، بل يطلق لأبناء المستعمرة بعض مظاهر الحرية»[2] أي ما يعرف بنظام الحماية وهو سيطرة المستعمر على دولة أخرى، من خلال اجبار حكامها على توقيع معاهدة لحمايتها، حيث يزعم المحتل الظالم أن الهدف منها هو تحقيق الحماية للشعوب المستعمرة بداخل أراضيهم، دون أن تتطلب منهم الحماية وتبدأ بموجب هذه المعاهدة السيطرة خطوة خطوة على البلاد بأكملها مثل ما طبقته بريطانيا على مصر.

**ب- الاستعمار الاستبدادي:**

[1] - نفسه ، ص32.

[2] - مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2002، ص108.

«الذي لا يتدخل تدخلا مباشرا في جميع تفاصيل الحياة، حتى الدينية منها فتدخله يميد إلى كل شيء»[1].

ويعني ذلك أن الاستعمار يتدخل في كل الشؤون التي تخص البلاد المستعمرة.

ويركز الاستعمار بصفة كبيرة على الجانب الديني، لأنه الأساس الذي يربط الأمن الواحدة، وبذلك يضيق الاستعمار الخناق عن الحريات الدينية للشعب مثل مصادرة الأوقاف وغيرها من السياسات التي تمس العقيدة الإسلامية.

يقول مالك بن نبي «إن الاستعمار هو أفظع تخريب أصاب التاريخ»[2] أي أن الاستعمار ألحق بالتاريخ الانساني ضررا فادحا وعمق مأساة الانسان، إذ داس على كل المبادئ والقيم النبيلة التي أسستها الانسانية في رحلتها.

**ثالثا: القابلية للاستعمار:**

يعد مفهوم القابلية للاستعمار من أشهر المفاهيم المركزية التي اطلقها المفكر مالك بن نبي حول الظاهرة الاستعمارية ويؤسس هذه الفكرة على قاعدة أن الاستعمار نتيجة وليس سببا، يعكس ما طرحه البعض في تفسير التخلف في العالم الإسلام على أساس أن الاستعمار هو السبب الأصلي الأساسي.

وقد استعمل مالك بن نبي مفهوم القابلية للاستعمار بمعنيين مختلفين:

**المعنى الأول:** تكون قيمة القابلية ناتجة عن الرضوخ الداخلي للاستعمار وتقلبه ورفض إزالته.

**المعنى الثاني:** تكون القابلية للاستعمار مجموعة من الصفات الفاعلية والنفسية، والاجتماعية التي تجعل المجتمع لا يستطيع مقاومة الاستعمار، والقابلية للاستعمار مفهوم طرحه مالك بن نبي في 1948 في كتابه شروط النهضة، وهو أكثر المفاهيم شيوعا وإثارة

[1] – نفسه، ص108.

[2] – مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ص 112.

للجدل فالمحتل الذي يحتل أرضا ويسيطر قابل للاستعمار هنا يتدخل المعامل الاستعماري وهو المصطلح الذي جاء به مالك بن نبي أيضا، يتدخل المستعمر من أجل خلق نموذجا من الحياة والفكر والحركة، وبعد السيطرة المعنوية والمادية يصبح الفرد يقبل بالحدود التي يرسمها له الاستعمار ويفكر داخلها ولا يخرج عليها ويرسم شخصيته طبقا لحدودها، وحينها يكون أمام فرد يعاني من القابلية للاستعمار.

أراد مالك بن نبي في تحليله أن يرجع المشكلة إلى سببها الأول وهو القابلية للاستعمار، أي رضوخا للاستعمار وقبولنا له وذلك استنادا للقول هذا «إن الفكرة التي يرد مالك أن يوضحها هي أن مقابل الاستعمار الذي يتصف بالمكر والخداع والشراسة هناك القابلية للاستعمار التي تتصف بالدناءة والخبث والخباثة»[1] ويقصد بهذا أن الاستعمار صحصح أنه يتصف بالمكر والخداع والحقارة، ولكن لم يكن ليستعمرنا، لو لم يجد فينا تلك الروح القابلة للاستعمار أي أن المشكلة الاساسية في نفسية الفرد الذي استسلم لهذا الاستعمار ورضخ له.

**أ- مفهوم القابلية للاستعمار:**

يقول الاستاذ مالك بن نبي «لكن لماذا اضعنا مصطلح القابلية للاستعمار لأن التاريخ صنع مصطلحا قبلنا أطلقه على أوضاع معينة تحت اسم الاستعمار فكان من واجب المسلمين أن ينتبهوا إلى أن الاستعمار هو مجرد بذرة صغيرة حقيرة، ما كان لها أن تنبت وتؤتي أُكلها لو لم نُهيأُ لها التربة الخصبة في عقولنا ونفوسنا»[2] أي أن الاستعمار ما كان له أن يفعل ما فعله من تدمير وخراب، لو لم تجد القبول في عقولنا ونفوسنا المريضة.

ويقول «فالعالم الإسلام أضاع أكثر من قرن في معالجة مرض سماه الاستعمار، بينما المرض الحقيقي لم يكن في الاستعمار القادم إلينا من خارج بل تقبلنا إياه والدليل على

[1] – محمد العبدة، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد اصلاحي، دار القلم/ دمشق ، سوريا، ط1، 2006، ص81.

[2] – مالك بن نبي، مجالس دمشق، دار الفكر، دمشق ، سوريا، ط1، 2006، ص 54.

ذلك ما يقدمه لنا الواقع المؤلم اليوم وهو أن الاستعمار غادر المساحة من الأوطان ولكن هل نشعر أن الأوضاع الاجتماعية أو الخلقية أو الانسانية قد تغيرت بطريقة جوهرية»[1].

أي أن العلم الإسلام لم يشخص المشكلة الحقيقية للاستعمار وأضاع قرن من الزمن يحارب فيه الاستعمار، ولم يعلم أن المرض الحقيقي هو القابلية للاستعمار، ورضوخ النفس لهذا الاستعمار، فالاستعمار ليس هو السبب الوحيد وفقط بل القابلية فلو تخلص الانسان من هذه القابلية يسهل عليه تحرير نفسه من عبودية الاستعمار فنرى هناك شعوب لم تستعمر عسكريا ولكن فكريا وعن بعد، ومن البلدان المستعمرة بعد خروج الاحتلال تبقر مستعمرة وذلك لقابلية الاستعمار.

**ب- مظاهر القابلية للاستعمار:**

يؤكد المفكر مالك بن نبي على أن أول مظاهر من مظاهر القابلية للاستعمار هو قبول أحكام المستعمر:

هذا استنادا لقول مالك بن نبي «فنرى أولا هذا الرجل يقبل اسم الأهالي، يوم استأهل لكل ما ترمي إليه المقاصد الاستعمارية، من تقليل قيمته من كل ناحية حتى من ناحية اسمه، ومما يلاحظ أنه منذ سنتين قليلة كان هذا الرجل يحمل كاريته، وكان الجرائد تعنون به صحفها، وكنا نسمع هذه الكلمة تتردد في خطب الطبقة المثقفة الأهلية وتقرؤها في مقالاتها»[2] .

يرى مالك بن نبي أن القابلية للاستعمار لا تحصل إلا حينما يتحول الانيان إلى عنصر مسلوب الارادة مكتوف اليدين، معصوب العينين، يشعر بالانبهار بكل مظاهر الاستعمار من أفكار فلا يملك أمام هذا الوضع المهين إلا القبول بكل ما يجلبه وما يمليه عليه هذا المستعمر، وقد تحقق هذا مستوى الأفراد في حوزة القبول باسم (الأهلي)، وعندما

[1] – نفسه، ص52.

[2] – مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1979، ص152-153.

نقبل أحكام المستعمر فإنه يرضى بالإهانة والذل، ويصبح بلا شخصية كالأداة في يد المستعمر، وقبول الاسم يعكس، قبولا شاملا بالوضعية التي فرضها المستعمر وهذا القبول، لا يتموضع فقط في منطقة الوعي، بل ينغرس في أعماق اللاوعي ليصبح استيطانا.

**ج- المعامل الاستعماري:**

عند مالك بن نبي هو عامل خارجي يفترض على الكائن المغلوب على أمره، والذي يطلق عليه الاستعمار اسم "الأهلي" نموذجا محددا من الحياة والفكر والحركة، وحين يكتمل خلق هذا النموذج يظهر في باطن الفرد معامل القابلية للاستعمار وأن معامل القابلين للاستعمار هو العامل الداخلي المستجيب للعامل الخارجي أن استسلام عميق للاستعمار «أن معامل القابلية للاستعمار موجودة، فالأنانية وحب الرئاسة ولو على حساب المبادئ والضعف الأخلاقي وعدم وعي الشعوب لما يجلب لها المصلحة ويبعد عنها المفسدة»[1].

وترتبط فكرة القابلية للاستعمار بالسلبية واللافاعلية التي تميز بها انسان ما بعد الموحدين حسب مالك بن نبي المكبل بمعوقات النهضة.

إن النهضة الفاحصة لمصطلح القابلية للاستعمار تجعلنا نفهم أنها حقة لا تعني انتشار التخلف والامية والركود في جميع المجالات وفقط، بل تعني أشياء أكبر من ذلك توجد في أعماق النفس والفكر، قد يصاب الذهن بالبلادة وتفكك العلاقات الاجتماعية، نتيجة انهيار منظومة القيم فيصبح الأفراد عاجزون ويطالبون بالحقوق دون القيم بالواجبات، ويميلون إلى تبني مبدأ السهولة حسب مالك بن نبي، وحين تنتشر هذه الأمراض في المجتمع يصبح مجتمعا قابلا للاستعمار.

ومن هنا نستنتج أن علتنا مزدوجة علة تعترينا من الخارج وهي الاستعمار وعلة باطنية تستجيب للعلة الخارجية وبالتالي استطاع الاستعمار أن يغرس في طاقات الفرد كل الدسائس الخبيثة.

[1] – محمد العبدة، مالك بن مفكر اجتماعي ورائد اصلاحي، ص 124.

ومالك بن نبي لا يعتقد بحتمية ظهور القابلية للاستعمار عند كل حالة استعمارية، فهو يستشهد بألمانيا واليابان اللذين وقعتنا تحت الاحتلال ولكنهما لم تظهر فيهما القابلية للاستعمار، ومن جهة أخرى فتحت بلاد لم يدخلها الاستعمار ولكن فيها كما يقول مالك بن نبي قابلية الاستعمار كبعض البلدان الافريقية مثل اليمن، ومن هنا نرى مالك بن نبي يستعمل مفهوم القابلية للاستعمار بمعنيين مختلفين المعنى الأول تكون فيه القابلية للاستعمار ناتجة عن الواقعة الاستعمارية ويتحدد أكثر من الرضوخ الداخلي لهذه الواقعة وتقبلها ورفض إزالتها، أما المعنى الثاني فالقابلية للاستعمار تكون نتيجة مجموعة الصفات العقلية والنفسية وما يناسبها من علاقات اجتماعية تجعل المجتمع لا يستطيع مقاومة الاستعمار وشمل الاستعمار مهمته.

**د- كيفية التخلص من القابلية للاستعمار:**

«أخرجوا المستعمر من أنفسكم يخرج من أرضكم»[1] بمعنى القضية عندنا موطن بتخليص المسلمين مما يستغله الاستعمار في نفوسهم من استعداد لخدمته ومادام له سلطة خفية على توجه الطاقات الاجتماعية عندهم، فلا رجاء في استقلال ولا أمل في حرية لا يقصد مالك بن نبي في قوله التخلص من الاستعمار مجرد إخراجه عسكريا، أي الاستقلال السياسي فقط، وإنما يعني الاستقلال الحضاري الشامل، والقابلية للاستعمار حسبه هي التي تعيق المسلمين عن النهوض ولا سبيل للتغيير سوى بالتخلص منها.

**هـ/ ربط القابلية للاستعمار لمشكلة الأفكار:**

ربط مالك بن نبي مشكلة القابلية للاستعمار بمشكلة عالم الأفكار فيقول في ذلك «ولد يحدث أن تلم بالمجتمع ظروف أليمة، كان يحدث فيضان أو تقع حرب، فتمحو من (عالم الأشياء) محوا كاملا، أو تفقده إلى حين ميزه السيطرة عليه، فإذا حدث في الوقت ذاته ان

[1] – مالك بن نبي، شروط النهضة، ص 155.

فقد المجمع السيطرة على (عالم الأفكار)، كان الخراب ما حقا، أما إذا استطاع أن ينقذ (أفكار)، فإنه يكون قد أفقد كل شيء».[1]

بمعنى أن القابلية للاستعمار تنشأ عندما يكون هناك مشكل في عالم أفكار الشعوب، هذه الشعوب التي تعرضت للاستعمار لا تعرف كيف تفرق بين ثلاثة عوامل الأشخاص وعالم الأشياء وعالم الأفكار مثلا الطفل الصغير نجده في البداية يعلم عالم الأشياء، أما عالم الأفكار لا يدركه ونفس الشيء مع الشعوب التي تعاني من الاستعمار يقول عندها خليل في عالم الأفكار الخاص بها، يضر مثلا مالك بن نبي بالفيلسوف يالمار شاخت Hjalmar Schacht(1877- 1970) الذي أسهم في نهضة ألمانيا سنة 1930 بسب نظرته للاقتصاد والسياسة في سنة 1945، أندونيسيا استقلت عن بريطانيا وهولندا واليابان وفي سنة 1947 أعلنت الاستقلال التام، واستدعت الفيلسوف شاخت من أجل أن يقوم بنفس النهضة التي قام بها في ألمانيا لكن كانت الصدمة أن البروفيسور شاخت فشل فشلا ذريعا، بالرغم أن أندونيسيا في تلك الفترة كانت أحسن من ألمانيا في عالم الأشخاص وعالم الأشياء ومالك بن نبي يفسر هذا الشيء ان المشكل في عالم الأفكار، لأن السياسة التي طبقها شاخت على عالم أفكار الألمانيين ليست نفسها، لدى الاندونسين لأن عالم أفكار الأندونسين والألمانيين ليست واحد، هذا ما أدى إلى فشل سياسته، كما يرى مالك بن نبي أن أزمة العالم الإسلام ليست أزمة وسائل، وإنما أزمة أفكار وطالما لم يدرك العالم الإسلام هذه الحقيقة إدراكا واضحا فسيظل داؤه عضالا يقول مالك بن نبي «ومهما يكن من أمر فإن أي فساد في علاقات الأفكار فيما بينها أو في علاقاتها مع عالم الأشخاص، أو في علاقاتها مع عالم الأشياء لابد أن يولد اضطرابا في الحياة الاجتماعية»[2].

[1] – مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1974، ج1، ص 34.

[2] – مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة د بسام بركة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2002، ص 65.

أي أن أي فساد في علاقات الأفكار يولد مشكلة في علاقات عالم الأشخاص، وفي علاقات عالم الأشياء وهنا تخلف مشاكل عدة على مستوى شبكة العلاقات الاجتماعية.

ويقول ايضا «فالمجتمع المتخلف ليس موسوما حتما ينقص في الوسائل المادية (الأشياء) وإنما بافتقار للأفكار»[1].

– أي مشكلة العالم الإسلام هي مشكلة الأفكار والمجتمع المتخلف هو الذي يفتقر لذلك الأفكار.

– وللقضاء على داء القابلية للاستعمار يتطلب تغييرا في الذات واصلاحها، والثورة على القوالب الموروثة التي تبعث على الركود لا التجديد والحظر للحال دون المال، وما تحتاجه اليوم إن تلك النظرة السلب نحو أنفسنا وأن تكون نظرة جديدة تؤمن بأننا قادرون على أن تمتلك زمام الأمور من جديد.

– رأي مالك بن نبي من القابلية للاستعمار أن الاستعمار لا يستطيع أن يحقق أهداف، في أي بلد عربي أو إسلام أو من دول العالم الثالث، مالم يكن هذا البلد أو شعوب هذه الدول مهيأة للاستعمار أو متعددة للتعاون مع المستعمرين.

كنا موقف مالك بن نبي واضحا وهو التخلص من عقدة القابلية للاستعمار.

**المبحث الثاني: مالك بن نبي وموقفه من الاستشراق**

اختلفت وجهات نظر الباحثين والفلاسفة حول ايجاد تعريف موحد للاستشراق، وذلك لتصور كل واحد منهم لحقيقة الاستشراق وأهدافه ووسائله.

**أولا: تعريف الاستشراق:**

**أ– لغة:**

«شرقت الشمس شرقا، وشروقا: طلعت (شرق) المكان شرقا: أشرقت عليه الشمس »[2]

[1] – نفسه، ص 96.

[2]– مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط 4، 2004، ص 480.

كلمة الاستشراق مأخوذة من الشروق، هناك من يقول « الاستشراق مركبة من الشرق وإضافة (است) والتي تعني في قواعد اللغة العربية طلب الشيء فالاستشراق إذن طلب الشرق»[1] أن الاستشراق هو الموجه للشرق.

**ب الاستشراق اصطلاحا:**

أما من حيث المفهوم الاصطلاحي فهناك تعريفات كثيرة ومتعددة تكاد تكون متقاربة

«تعبير أطلقه غير الشرقين على الدراسات المتعلقة بالشرقيين (شعوبهم، وتاريخهم، وأديانهم، ولغاتهم وأوضاعهم الاجتماعية، وبلدانهم، وسائر أراضيهم وما فيها من كنوز وخيرات وحضارتهم، وكل ما يتعلق بهم»[2].

بمعنى أن الاستشراق هو دراسة كافة البنى الثقافية للشرق من وجهة نظر غربية، وتستخدم كلمة الاستشراق أيضا لتدليل تقليد وتصور جانب من الحضارات الشرقين المفكرين في الغرب، والاستشراق بمنظوره العام هو الدراسة الغربية التي تشمل مختلف البنى للشرق وذلك حسب وجهة النظر الغربية حيث يشمل دراسة تاريخ وأمم ولغات وآداب وعلوم وعادات ومعتقدات وأساطير الشرق.

كما هناك تعريف آخر لتوضيح معني الاستشراق:

« أي اهتمام علماء ومفكري الغرب بالعلوم الشرقية وحضارتهم بصفة عامة، والتوجه إلى العالم الإسلام العربي وحضارته بالدراسة والتحليل بصفة أكثر خصوصية»[3]. بمعنى أن الاستشراق ظاهرة تمثل الاهتمام بالشرق عامة وبعلوم المسلمين وحضارتهم خاصة، كان هدفهم دراسة الحضارة الإسلامية، ومحو هويتها لأنها كانت بمثابة هاجس لهم وخطر محدق يهددهم.

**ج- مفهوم الاستشراق عند العلماء والمسلمين:**

[1] – عقيلة حسين، المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 31.

[2] – عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، دار القلم، دمشق، سوريا، ط8، 2000، ص 120.

[3] – عادل الآلوسي، التراث العربي والمستشرقون، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2001، ص 13.

ذهب العلماء والباحثون الى مذاهب شتى، وأبدو آراء متنوعة حول مفهوم الاصطلاح اصطلاحا نتيجة اختلافهم في تحديد وتعيين مفهوم الشرق نفسه، فذكر أهم الآراء ومن هؤلاء:

1- الدكتور إدوارد سعيد الذي نجده يقول «إنه مبحث أكاديمي فالمستشرق كل ما يعمل بالتدريس أو الكتابة أو إجراء لبحوث في موضوعات خاصة بالشرق وهو أسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستنبائه وامتلاك السيادة عليه»[1] .

2- الدكتور محمود حمدي زقزوق وكذلك الذي يقول «الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي وكلمة "مستشرق" بالمعنى العام تطلق على كل عالم غربي يشتغل بالدراسة الشرق كله: أقصاه ووسطه (أدناه)، في لغاته وآدابه وحضارته وأديانه»[2]

أي كل ما يصدر من غرب للدراسة الشرق كله في جميع المجالات.

3- وقال الدكتور شكري النجار «إن الاستشراق هو أسلوب غربي لفهم الشرق والسيطرة عليه، ومحاولة إعادة توجيهه والتحكيم فيه»[3] بمعنى الاستشراق يستحوذ على الفكر الشرقي ويصح يوجهه كما يريد ويتحكم فيه.

**ثانيا: رؤية بن نبي للاستشراق:**

**أ- تعريف الاستشراق:**

«اننا نعني بالمستشرقين الكتاب الذين يكتبون عن الفكر الإسلام وعن الحضارة الإسلامية»[1]

[1] – إدوارد سعيد الاستشراق ، ترجمة محمد عناني ، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2006، ص 44.

[2] – محمد حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، النيل، القاهرة، (د.ط)، (د.س)، ص 18.

[3] – شكري النجار، لم الاهتمام بالاستشراق، مجلة الفكر العربي، العدد 31، 1983، بيروت، ص 61.

أي أن المستشرقين هم أولائك الغربيين الذين اعتنوا بدراسة الفكر الإسلام واهتموا بالإسلام وقضاياه وكل ما يخصه.

وقد قسم مالك بن نبي المستشرقين إلى طبقتين:

«1- من حيث الزمن: طبقة القدماء مثل جرير دوريبال والقديس توما الإكويتي.

2- المحدثين هم طبقتين:

أ- طبقة المادحين للضارة الإسلامية.

ب- طبقة المنتقدين لها والمشوهين لسمعتها»[2].

والملاحظ لهذا التقسيم يرى أن مالك بن نبي ركز على الفرنسيين وذلك لاتصاله بهم فكريا وواقعيا في فرنسا، ومن خلال كتابات هؤلاء المستشرقين فإن مالك بن نبي حلل أثار وأفكارهم على العالم الإسلام، فطبقه المستشرقين القدماء أثرو ولا يزالون يؤثرون على محرى الأفكار في العالم الغربي دون أن يؤثر على أفكارنا، أما طبقة التقليدين للحضارة الإسلامية فقد ذكر أنها تدخل في موضوع بحثه حتى ولو لها بعض الأثر في تحريك المفكرين الإسلامين[3] ، يقصد مالك بن نبي أن المستشرقين انقسموا بين مدح الحضارة الإسلامية، وبين من انتقدها وشوه سمعتها عن الآخر الغربي لكي يبتعدوا عن الإسلام، وطبقة المادحين للحضارة الإسلامية، فمالك بن نبي يحذر منها تحذيرا كبيرا، ويعتبرهم أخطر من الناقدين وبين ذلك أنهم يدخلون أفكارهم المسمومة ضمن مديحهم، ويتقبلها المسلمون دون ادراك أو وعي، وطبقة المادين لم تقتصر نتائجها على الأثر المحمود بل إن لها أثرا سيئا أي أن

[1] – مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الرشاد، بيروت، لبنان، ط 1، 1965، ص 05.

[2] – مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ص5.

[3] – نفسه، ص 6.

يعيش المسلمون على أحلام الماضي، حيث المستشرقين يعملون دائما على أن يعيش المسلمون في أحلام سعيدة.

**ثالثا: أهداف الاستشراق:**

**1- الهدف العلمي:**

«لم تكن أوروبا تنهض نهضتها دون أن تأخذ بأسباب ذلك وهو دراسة منجزات الحضارة الإسلامية، فقد رأى زعماء أوروبا أنه إذا كانت أوروبا تريد النهوض الحضاري، والعلمي فعليها بالتوجه إلى بواطن العلم تدرس لغاته وآدابه وحضارته»[1]

كانت أوروبا تريد النهوض فدرست كتب العلماء المسلمون وترجموها وأخذو منها للاستفادة.

ويقول الأستاذ مالك بن نبي «أن أوروبا عن طريق الاستشراق تريد اكتشاف الفكر الإسلام وترجمته من أجل إثراء ثقافتها بالطريقة التي أتاحت لها فعلا تلك الخطوات الموقفة التي هدتها إلى حركة النهضة»[2].

بمعنى أن المستشرقين عرفوا نقطة قوى المسلمين تكون في علماءه ومفكريه وما أنتجوا من كتب فحاولوا استغلال ذلك لصالحهم ولتطوير ثقافتهم وخضارتهم، لآن الغرب كان يعيش في ظلام دامس ويعاني من تخلف حضاري، وعندما فتح عينيه على تقدم المسلمين العلمي خاصة عندما فتح المسلمين الأندلس، فنكب المستشرقين على علوم الشرق ينهلون معانيها الصافي وطفقوا يجمعون المخطوطات الإسلامية في شتى الميادين كان هدفهم تحصيل معرفة صحيحة تتصل بأمة ذات علم وحضارة.

**2- الهدف الديني:**

[1] – مازن مطبقاتي، الاستشراق واتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (د.ط)، 1995، ص 10.

[2] – مالك بن نبي ،انتاج المستشرقين، ص 11.

وقد برز الدافع الديني للاستشراق أكثر ما يبرز في اتجاه خطير ألا وهو التبشير، حيث رغب النصارى في تنصير المسلمين[1].

أهم صدق هو الصدق الديني فقد كانوا النصارى يريدون نتصير المسلمين وابعادهم عن الدين الإسلام، وطمس الإسلام ومحوه عن وجه الأرض.

فكان هدهم محاربة وتشويه الإسلام وابعاد النصارى عنه وقد اتخذ النصارى المعرفة بالإسلام وسلة لحملات التقصير الت انطلقت إلى البلاد الإسلامية، وكان هدفهم الأول تنفير النصارى من الإسلام، والنيل من اللغة العربية واستبعاد مقدرتها على مسايرة ركب التطور وتكريس دراسة اللهجات تحل محل اللغة العربية الفصحى وحاول اقناع الناس بأن الإسلام ليس دين حق ولا يتحقق الانتشار، وبأن المسلمين همج، سفاكو دماء، فقد أنكروا نبوة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وأنكروا أن القرآن منزلا عليه من عند الله عز وجل، وأنكروا أن الإسلام دينا من عند الله تعالي وإنما ملفق من الديانين عندهم المسيحية واليهودية فيقول الأستاذ مالك بن نبي «وذلك عن طريق الطعن في ظاهرة الوحي واعتباره أنها ذاتية وماهي إلا إلهام نفسي أو هواجس داخلية تملكت ذات محمد فقال ما قال وليس هناك وحي خارجي، وأنها إلا مظاهر اختلاط وهلوسة »[2].

أي أن الوحي هو من فكر محمد علية الصلاة والسلام أو هواجس نفسية له، وليس الوحي حقيقي، وأنها من ذات الرسول صلى الله عليه وسلم.

**3- الهدف السياسي الاستعماري:**

يرى مالك بن نبي أنه يجب «أن تأخذ في حسابنا أن كل ما ينتجه العقل لا يخلو من بعد عملي يستغل في ميدان السياسة»[3].

[1] – اسماعيل علي محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، دار الكلمة للنشر والتوزيع، ط3، 2000، ص33.

[2] – مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر دمشق، سوريا، ط4، 2000، ص 193.

[3] – مالك بن نبي، القضايا الكبرى، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2000، ص 194.

كان هدفهم اَعاف روح الاخاء بين المسلمين، والعمل على تفرقتهم لأحكام السيطرة عليهم ولكي يسهل استعمارهم حيث كان رجال السياسة يرجعون إلى المستشرقين قبل اتخاذ قراراتهم المهمة في شؤون السياسة الخاصة بالأمم العربية الإسلامية.

**رابعا: مجالات الاستشراق عند مالك بن نبي:**

**1- المجال الحضاري:**

نقصد بالمجال الحضاري كل المكونات الاجتماعية والتاريخية والدينية، وبتكون هذا المكون الحضاري حسب المفكر مالك بن نبي «الجماعة التي تغير دائما خصائصها الاجتماعية بإنتاج وسائل التغيير، مع علمها بالهدف الذي تسعى إليه من وراء هذا التغيير»[1]

ويعني هذا عدم الثبات والاستقرار في مسار الشعوب، وإيلاء اهمية بالغة للحركة الاجتماعية والتاريخية والتغيير المطرد في كل المستويات، حيث يرجع إشكالية التغيير المطرد اجتماعيا إلى أسباب جغرافية وهو النموذج الجغرافي، ويرى أن ما يعيشه من تخلف «عقوبة مستحقة من الإسلام على المسلمين لتخليهم عنه لا لتمسكهم به كما يزعم الزاعمون»[2].

وهذا يعني أن هناك حقيقة يتجاهلها المستشرقون ببساطة وهي أن الحضارة الغربية التي يصفونها باعتزاز بأنها حضارة نصرانية مبنية في الأصل على تعاليم رجل شرقي وهو المسيح عليه السلام وعلى ما نقلوه العرب، وهذه الحقيقة تجعل التفرقة المبدئية إلى شرق وغرب والتي يعتمد عليها الاستشراق أمرا مخالفا للمنطق والشرق متخلف لأنه دين إسلام لا أساس له من العلم ولا الواقع والتقدم الذي يشهده الغرب لا علاقة بالنصرانية، والتخلف الذي يعاني من الشرق لا يتحمله الإسلام، المعقولية على جمع الحياة السياسية والاجتماعية والدينية، وأن الإسلام نظيف من تشويه المستشرقين.

[1] – مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1924، ج 1، ص15.

[2] – مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2002، ص 76.

**2- المجال الاقتصادي:**

يقول مالك بن نبي « حيث كل الأفواه يجب أن تجد قوتها، وجميع الأيدي يجب أن تعمل»[1]

فالمسألة عنده ليست مسألة وسائل وإمكانيات بقدر ماهي مسألة أفكار.

ويرى مالك بن نبي أن الحلول المناسبة لمناهضة التخلف في استغلال سياسي والاقتصادي باعتبار « أن المجتمع لا يضع أفكاره الرئيسة لا يمكنه علي أية حال أن يضع المنتجات الضرورية لاستهلاكه، لا المنتجات الضرورية لتضييعه ولكن الضرورية لمجتمع في عهد التشييد بالأفكار المستوردة أو السلطة عليه من الخارج»[2].

أي أن دور الأفكار في نهضة الأمم كبير وكذلك الانسان باعتباره أساس كل تغيير.

**رابعا: موقف مالك بن نبي من الاستشراق:**

كان موقف مالك بن نبي من هذا الاستشراق هو الرفض التام بالرغم أنه لم ينكر قيمته العلمية، وهو لا يحرز من نتاج المستشرقين فحسب بل من العمل الفكري للمتأثرين، وبهذا النتائج ممن هم في حضرة الفكر الإسلام وبين أن هذا الانتاج الاستشراقي كان شرا على المجتمع الإسلام وحاصل القول أن الذي ذهب إله مالك بن نبي جاء نتيجة خرته المريرة مع الاستعمار الفرنسي، ومعرفته بتاريخ المسلمين، فضلا عن دقة ملاحظته وتكوينه العلمي والفلسفي العميقين واطلاعه على تجارب الأمم والشعوب، فكان أن خلص من هذا كله إلى نتيجة حاسمة مفادها أن مواجهة تحديات العصر الذي تتطلب من المسلمين القيام باستجابة مدارها التشبع بالروحية القرآنية من أجل التحرر من روح الانهزام وعقدة توقف الآخر.

**المبحث الثالث: مالك بن نبي وقومه**

[1] – مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ص 118.

[2] – مالك بن نبي، انتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الرشاد، بيروت، لبنان، ط1، 1969، ص 48.

مالك بن نبي كان رجلا عميقا وأفكاره مركبة وليست بسيطة وهو الذي يلقب ب "تسابق عصره" والمجهول في قومه فقد راجت كتبه بعد وفاته وعمل أعمالا جبارة لم ير نتيجتها ولم تخضع أفكاره للدراسة والبحث إلا بعد عقود من طرحها، وهذا الذي قال لزوجته حينما كان على فراش الموت أنه سيعود بعد ثلاثين سنة وسيفهمني الناس، تلميحا من أنه سيتم الاعتناء بكتبه وأفكاره وعلمه، بعد سنتين من موته، فقد عاشر محاصرا في عصره، ومضايقا في أفكاره، غير أنه كان واثقا تماما، أنه ستفعل في يوم ما وها قد صدقت نبوءة الرجل العملاق اليوم بعودة النخب الإسلامية في مختلف المستويات إلى مدرسة رؤاه التي سبق بها زمانه قبل 75 عاما، وجعلت قيادات دول في قيمتها الفلسفية والعلمية مرتكزات لنهضتها الجديدة.

## 1/ أسباب تهميش مالك بن نبي وتجاهله من طرف قومه

### أ- الاتجاه الفكري والثقافي للدولة الجزائرية بعد الاستقلال:

عاد مالك بن نبي إلى الجزائر بعيد الاستقلال وفي سنة 1963 بعد غياب طويل عنها وعين مديرا عاما للتعليم العالي بوزارة الثقافة والارشاد القوي للجزائر.[1]

لكن اعتراضاته وتحفظاته على النصح والطريقة التي كانت تسير بها البلاد آنذاك وخصوصا ما تعلق منها باتجاه المنحنى الاشتراكي حيث تجاهلت الحكومة أصحاب الشهادات والنخب وغيبت دور المثقف ورفعت شعار "لا بطل إلا الشعب" كل هذا أدى إلى إعفاء من الوزارة ليعود إلى بيته وكان هذا سببا في تغيب أفكاره عن الحضور بصفة رسمية

[1] – حسان زهار، المفكر الجزائري مالك بن نبي يعود من جديد، الجمعة 23 أغسطس 2019، 11:29
Https//www.gogle.marabi21.comالخميس 13 أوت 12:24

وفاعلة في الدولة الجزائرية بعد الاستقلال، وقبل اختيار الاشتراكية كنهج رسمي للدولة الجزائرية من قبل الرئيس الراحل أحمد بن بلة وكذلك خلفه "هواري بومدين" كان لمالك بن نبي موقفا سلبيا من الثورة الجزائرية.

**ب/ فكرة القابلية للاستعمار:**

لقد تعرض مالك بن نبي، لغضب شديد من بعض الوطنين الاستقلاليين بعد طرحه فكرة القابلية للاستعمار التي أسس فهمها وأولت أنها استسلام منه، لهذا الاستعمار، وهي مسألة المثقفين المادحين شعوبهم بالحقيقة، قد جليت لهذه الفكرة الكثير من العداوات واستغلها خصومه في تصنيف الحسابات معه داخل الجزائر «حيث تم إشاعة أنه وبناء على هذه الفكرة أن مالك بن نبي يسوغ ويبرر لاستعمار ويضع اللوم على الشعب كونه هو السبب بقابلية الاستعمار وقاموا على هذا الأسباب بالتحريض على فكرة لدى الدوائر الرسمية للدولة»[1].

**ج/ عطاء وإنتاجه الفكري كان بالمشرق:**

من المعروف أن كتب مالك بن نبي الأولى كانت باللغة الفرنسية والجهة التي تعادي فكره هو التيار (الفرانكفوني) في بلاده والمنطقة العربية بشكل عام، وهذا ما جعل صاحب مجالس دمشق يتجه نحو المشرق العربي وبالخصوص القاهرة بعد أن رفض قادة الثورة الجزائرية تواجد مالك بن نبي في تونس لتدوين أحداث الثورة خوافا من استقلالية أفكاره.

[1] – مركز البصيرة للأبحاث والدراسات والخدمات التعليمية مالك بن نبي المجهو في قومه، واد السمار الجزائر https.www.elbassira.org الجمعة 14 أوت الساعة 08:50.

وكانت فترة تواجد بالقاهرة أهم فترة أعطى وأنتج بها مالك بن نبي حيث «ترجمت أهم كتبه إلى العربية وهي (مشكلة الثقافة) و (ميلاد مجتمع) وفي (مهب المعركة) و (فكرة كمنولث إسلام) وتلقى دعما من الحكومة المصرية وأجرت له راتبا»[1].

**د/ الاختلاف مع الحركة الاصلاحية ونضج جمعية العلماء المسلمين:**

لقد أبد مالك بن نبي هذه الجمعية في مبادئها وأفكارها لأنها تقوم على مفهوم التغيير النابع من أداة الواجبات وليس من خلال المطالبة بالحقوق، فهي عنده أقرب الحركات والقيادات إلى النفوس، لأنها تعمل على تغيير ما بالنفس وذلك كمقدمة لتغيير الإنسان، فهي تسير على هدى شرعية السماء غير نفسك تغير التاريخ، فبعث في الشعب روحا وثابة أشرقت معها بوادر النهضة الكبرى ولكنه انتقدا الجمعية عند ما عقدت مؤتمر 1936، واعتبر قادتها قد انصرفوا عن مبادئهم وأفكارهم، وخالفوا المفهوم الاجتماعي، معتبرا إياهم قد انصرفوا عن طريق القويم، متبعين رجال السياسة، وبذلك قد ظلوا الطريق وذلك استنادا على قول الاستاذ مالك بن نبي في هذا الصدد «ولئن كان هناك شيء يؤسف له منذ عام 1925، فإن أكبر أسفنا على زلة العلماء، التي كانت زلة نزيهة، لما توفر فيها النية الطاهرة والقصد البري أو لم يكن العلماء أنفسهم ينهلون من ذلك الينبوع معجزتهم من عام 1925 حتى عام 1936، إذ كانوا يغيرون ما بنفس الفرد ذلك التغير الذي هو الشرط الجوهري، فكل تحول اجتماعي رشيد»[2].

وهذا المؤتمر حضره جميع التنظيمات، السياسية في الجزائر ما عدا حزب الشعب الجزائري، وكان عبد الحميد بن باديس (1889- 1940) من بين من أبدو عقد المؤتمر ودعوا إليه.

[1] – مركز البصيرة للأبحاث والدراسات والخدمات التعليمية مالك بن نبي المجهو في قومه.

[2] – مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د ط)، 1979، ص 30.

ويمكن القول أن مالك بن نبي، لم ينظر إلى هذا الموضوع من الجانب السياسي، بل من الجانب الاجتماعي هنالك من كان رافضا لنهج الاصلاح السائد الذي تبنته جمعية العلماء المسلمين ورواد الحركة الاصلاحية في العالم الإسلام عموما حيث «انتقد في كتابه وجهة العالم الإسلام العقلية التجريدي التي تناولت المشكلات التي يمر العالم الإسلام»[1]

اقترح مالك بن نبي أن تكون الجهود في صورة مذهب منسجم كما اعترض على إنتاجها سياسة علاج العرض الذي هو التخلق والاستعمار، بدلا من التركيز على المرض هو القابلية للاستعمار، والابتعاد عن الفعل والسلوك الحضاري، كما انتقد الدعوات الاصلاحية منها حرة الاصلاح بقيادة جمال الدين الأفغاني (1838- 1897) فيقول مالك بن نبي «لكن لم جمال الدين قائدا، أو فيلسوفا للحركة الاصلاحية الحديثة، فلقد كان رائدها، حيث حمل ما حمل من القلق ونقله معه أينما حل، وهو القلق الذي ندين له بتلك الجهود المتواضعة في سبيل النهضة الراهنة وكان رائدها أيضا حيث جهد في سبيل إعادة التنظيم السياسي للعالم الإسلام، وأن كان قصد بذلك التنظيم جموع التعب واصلاح القوانين دون أن يقصد إلى اصلاح الإنسان الذي صاغه عصر ما بعد الموحدين»[2] .

يرى مالك بن نبي أن الافغاني ينظر إلى مشكلة العالم الإسلام أنها مشكلة سياسية، ويمكن حلها بوسائل إسلامية واجتهد الأفغاني في إعادة تنيم السياسي للعالم الإسلام دون اصلاح الإنسان نفيه، وفي نظر مالك بن نبي الأفغاني لم يحسن تشخيص الدافع إلى الثورة، لأنه كان ينظر أنه يرجعها للأخوة الإسلامية، في حين مالك بن نبي كان يرى أنه يجب أن تعتمد على مبدأ المؤاخاة بين المسلمين، واختلف مع هذه الحركة الاصلاحية، لأن الحركات الإسلامية في عمومها حركات نضالية وجماعات حزبية، تدعو إلى الطاعة والاتباع، في حين فكر مالك في فكر متفتح ليس لجماعة أو شعب أو دولة هدفه صيغة منظور أكثر

[1] – الحبيب السعداوي، مالك بن نبي ذلك المغني الذي لا يطرب في حبه
https,www,sasapost.com,bennabtanand,magin/alization الجمعة 11 أوت الساعة 10:14

[2] – مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي ترجمة عبد الصبور شاهين دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2002، ص 51.

علمية، وأكثر شمولية، لتشخيص أمراض الأمة ووصف حلول لها حلول تتطلب تكاثف رجل الفكر وصانع القرار ورجال المال ورجال الأعمال، أي تندرج في عملية النهضة كل القوة الحية في المجتمع، وفق منظور أرحب لا يقصي احد إيديولوجيا ولا وظيفيا، وربما كان بسبب تهمين ونقده لأن أفكاره ليست أفكارا عاطفية تقوم على تعبئة الشعب وإنما هي أفكار تؤخر الضمير وتوقظ الوعي وتربي الفكر على المنطق والسنن، وتدعو إلى البداية بالواجبات لا الحقوق، لأن دخول التاريخ يكون من الواجب لا الحق، وهذا الأمر مرهف للأنفس التي تعودت على الخمول واللوم والعمل العشوائي، ولأن المؤسسات في العالم العربي يهيمن عليها العلمانيون والعلمانية، لذلك فإنهم لم يسمحوا لأفكاره أن تنتشر، وأن تبني عليها المؤسسات، وهذا يعني أن مالك بن نبي كان مهمشا في قومه بسبب ما حققه في حين كان الصدى القوي في دول أخرى مثل أندونيسيا، وكان لمللك بن نبي نظرة سابقة لأنه كان يرى أن مركز الثقل في العلم الإسلام سينقل من البحر المتوسط إلى آسيا ويتجه نحوها، فقد ثبت أفكاره مثلها مثل ماليزيا وتركيا وايران في وقت بقي تنظيره دون تطبق في الجزائر، أصبح مالك بن نبي مجرد رقم يذكر في قائمة المفكرين التوابع لا غير.

لاقى مالك بن نبي التهميش حتى وفاته يوم 31 أكتوبر 1973 للأسف حرموه من جنازة الكبار فلم تقام جنازة رسمية لأخذ أعظم مفكر في الجزائر قد صلوا عليه وتم تشيع جثمانه بمقرة سيد محد، من ال المسؤولين قاطعوا جنازته رجل دخل السجون الفرنسية منذ الثلاثينات وكان أول من طالب بالاستقلال هدر حق مالك بن نبي، وظلم مرتين مرة من خصومه الذين سعو لطمس أفكاره، وتجاهله ومرة أخرى من مريديه ومحبيه الذين حاولا أن يختزلوك كل أفكار النهضة و..... واعتبروا استنتاجاته "سدرة المنتهى" التي لا يظللها سقف منع توظيفه في عدة أماكن في فرنسا وفي الجزائر وسجنه لمدة ثمانية أشهر مع زوجته التي دفعت ثمن واعتناق الإسلام، كما تعمد وترسيبه في الاختبار الشفوي بعدما تصدر ترتيب الامتحان الكتابي، كيف لا يكون مهتما ونجد غياب كلي لكتب مالك بن نبي في معرض

الجزائر الذي أقيم في 01- 09-1969 من 1963 إلى وفاته 1973 لم يطبع له إلا كتاب واحد من كتبه كلها كانت محاولات لتهميشه وكسر سن قلمه وعندما يبكي المفكر مالك بن نبي يعني أن المأساة قد بلغت حدا لا يمكن اخفاؤه، وعندما يخزن ويتألم من بيده أسباب النهضة فذلك يعني أننا في حال مع العجز والضياع، وأننا نستحق أن تركلنا الحياة الدنيا.

وفي الأخير يمكن القول أن تهميش وتغييب مالك بن نبي يعتبر ظلما كبيرا في حق المفكر المبدع لأنه أفنى حياته خدمة للأمة الإسلامية، وأحدث نقلة نوعية في الفكر الإسلام الحديث وأسس مفاهيم ومصطلحات فكرية وفلسفية غير مسبوقة ولقب بألقاب عدة منها "فيلسوف العصر" "وفقيه الحضارة" "ومنظر النهضة الإسلامية"، وفعلا كان مهمشا ولم يعطي حقه.

# خاتمة

**خاتمة:**

يعد مالك بن نبي قطبا من أقطاب الفكر الجزائري المعاصر في الفكر والحضارة الإنسانية، فقد حمل هموم الحضارة الإنسانية عموما، والحضارة الإسلامية بصفة خاصة، فكان يشخص الأمراض ثم يقدم أسبابها وعللها، وقد ركز في دراسته على الغرب حيث درسه في كيانه الحضاري، وحلل بشكل دقيق صوره المختلفة، وبين العلاقة بين الأنا الإسلامية، والآخر الغربي، فقد كان موقفه من الآخر موقف غير متحيز بدون إنطباعات مسبقة فقد كان يدعو إلى فتح باب الحوار مع هذا الآخر، وسعى بكل موضوعية وجدية وعقلانية إلى ربط جسور الصداقة والتفاهم، والتعامل الطيب بين العالم الإسلامي والغربي، ودعى أيضا المسلم أن يعرف نفسه، وأن يعرف الآخر ليتقي شره، وليخاطب جانب الخير فيه، ويبلغه برسالته الإسلام ويعرف الآخر بنفسه ليتغلب على رواسب التخلف والتأخر وإعطاء صورة محببه كما جاء بها الإسلام.

كان يريد تحقيق هدفه النهضوي الذي نذر حياته له، وذلك لخدمة القضايا الإنسانية العادلة إبتداءا من القضية الجزائرية إلى القضايا الإسلامية وانتهاء بمعضلات العالم الثالث كان يريد إصلاح شبكة العلاقات الممزقة، وارجاع الفعالية للفرد والمجتمع، متأملا في تغييره وارجاعه إلى منبعه الإسلامي الأصل للخلاص مما حل به، وتخليص الفرد من الاستعمار والقابلية له، والعودة بالحضارة الإسلامية إلى المرحلة العقلية التي تبلغ فيها أوج ازدهارها وانتاجها الحضاري، فإن مالك بن نبي يرى الغرب أن العلاقة بين الآنا والآخر يجب أن تكون علاقة تعايش تقوم على التعاون والإحترام واطفاء جذور الصراع القائم بين الأنا والأخر، وكان يدعو إلى إيداع بدائل فكرية ومناهج علمية مستقلة تتناسب مع البيئة الإسلامية بدل استيرادها، ويلح على ضرورة الاستقلال الفكري، وهو يرى أننا بحاجة إلى تحديد دقيق لعلاقة مع الغرب، ينقلها من التبعية إلى التعلم، وينبغي أن تكون علاقة قائمة على أن تتعلم من هذه التجربة الحضارية، ما يفيدنا في بناء حضارتنا الإسلامية من جديد.

# قائمة المصادر والمراجع

## قائمة المصادر المراجع:

### أولا: قائمة المصادر:

القرآن الكريم

1. مالك بن نبي، لبيك حج الفقراء، ترجمة زيدان خوليف، دار الوعي، الجزائر، ط1، 2013.

2. مالك بن نبي، دور المسلم ورسالته في الثلث الاخير من القرن العشرين، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1991.

3. مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، ندوة مالك بن نبي، طرابلس، لبنان، ط1، 1974، ج1.

4. مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2002.

5. مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي المسألة اليهودية، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2012، ج2.

6. مالك بن نبي، فكرة الافريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط3، 2001.

7. مالك بن نبي، في مهب المعركة ، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط3، 2002.

8. مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، وسريا، ط4، 1984.

9. مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، سوريا، (د.ط)، 1979.

10. مالك بن نبي، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، ترجمة بسام بركة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2002.

11. مالك بن نبي، مجالس دمشق، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2006.

12. مالك بن نبي، فكرة كمنويلث إسلامي، ترجمة الطيب شريف، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2000.

13. مالك بن نبي، تأملات، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2002.

14. مالك بن نبي، القضايا الكبرى، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 2000.

15. مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الرشاد، بيروت، لبنان، ط 1، 1965.

16. مالك بن نبي، الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر دمشق، سوريا، ط4، 2000.

**ثانيا: قائمة المراجع:**

1. السيد عمر، الأنا والآخر من منظور قرآني تحرير: منى أبو الفضل ونادية محمود، دار الفكر، دمشق سوريا، ط 1، 2008.

2. نجيب البلدي، ديكارت، سلسلة نوابغ الفكر العربي، دار المعارف، مصر، ط2، 1968.

3. جان بول سارتر، الكينونة، العدم، بحث في الأنطولوجيا الفيمولوجية، تر: نقولا متيني المنظمة، العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2009.

4. عبد الرحمان بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، (د.ط) (د.س).

5. محمد عابد الجابري، مسألة الهدية والعروبة والإسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط4، 2012.

6. جان بول سارتر، الوجود والعدم في الأنطولوجيا الظاهراتية، دار الأدب، بيروت، لبنان، ط1، 1966.

7. بودريكور، بعد طول تأمل ترجمة فؤاد مليت، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان، ط1، 2006.

8. رحيم أبو رغيف الموسوي، الدليل الشامل، دار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ج2.

9. سمير بالكفيف، الفلسفة الأخلاقية من سؤال المعنى إلى مأزق الأجزاء، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013.

10. جيل دلوز، الاختلاف والتكرار، ترجمة وفاء شعبان، منظمة العربية للترجمة بيروت، لبنان، ط1، 2009.

11. حسين مؤنس، الحضارة دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها، المجلس الوطني للثقافة، الكويت، ط 2، 1978.

12. روجيه غارودي، وعود الإسلام، ترجمة ذوقان قرقوط، دار الرقي، بيروت، لبنان، ط 2، 1985.

13. روجيه غارودي، حوار الحضارات، ترجمة عادل العوا، عويدات للنشر والطباعة، بيروت لبنان، ط 4، 1999.

14. روجيه غارودي، لماذا أسلمت، مكتبة القرآن للطبع والنشر، القاهرة، مصر، (د ط)، 1982.

15. حسين حنفي، تاريخ موجز للفكر العربي، دار الرشاد، القاهرة، مصر ، ط1، 1996.

16. عزت قرني، العدالة والحرية في فجر النهضة، العربية الحديثة، سلسلة كتب عالم المعرفة، كويت، د.ط، 1980.

17. محمد بن ناصر الشتري، التنصير في البلاد الإسلامية، دار الحبيب، الرياض، ط1، 1998.

18. عبد الرحمان حسن حنبكة الميداني، أجنحة المكر الثلاثة، دار القلم، دمشق، سوريا، ط 8، 2000.

19. محمد العبدة، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد اصلاحي، دار القلم/ دمشق ، سوريا، ط1، 2006.

20. عقيلة حسين، المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

21. عادل الآلوسي، التراث العربي والمستشرقون، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 2001.

22. إدوارد سعيد الاستشراق ، ترجمة محمد عناني ، رؤية للنشر والتوزيع، ط1، 2006.

23. محمد حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، النيل، القاهرة، (د.ط)، (د.س).

24. مازن مطبقاتي، الاستشراق واتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (د.ط)، 1995.

25. اسماعيل علي محمد، الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، دار الكلمن للنشر والتوزيع، ط3، 2000.

**ثالثا: المعاجم:**

1. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان ، [د.ط]، 1980، ج1.

2. مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار فياء الحديثة، القاهرة، مصر، [د.ط]، 2007.

3.ابن منظور، لسان العرف، دار المعارف النيل/ قاهرة، مصر،[د.ط]، [د.س]، ج 1.

4. أحمد أبو حاقة، معجم النفائس الكبير، دار النفائس، بيروت، لبنان/ ط1، 2007.

5. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2004.

6. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان ، [د.ط]، 1980، ج2.

**رابعا: الموسوعات:**

1. عبد المنعم الحنفي، موسوعة الفلسفة والفلاسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ط2، 1999، ج2.

2. العلامة اللغوي الشيخ أحمد رضا، معجم متن اللغة موسوعة لغوية حديثة، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د.ط) 1958، ج 2.

3. عبد الوهاب الميسري، موسوعة اليهود، اليهودية والصهيونية، الجمعات التحديث والثقافة، دار الشروق، قاهرة، مصر، ط1، 1999، ج3.

4. عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنات، ط1، 1984، ج 1.

**خامسا: المجلات:**

1. نعيمة حاج عبد الرحمان، لقاء مع محمد عابد الجابري، مجلة أيس العدد2 سداسي1، 2007.

2. شكري النجار، لم الاهتمام بالاستشراق، مجلة الفكر العربي، العدد 31، 1983، بيروت.

3. الجمعية العربية لعلم الاجتماع، صورة الآخر العربي ناظر ومنظورا إليه تحرير طاهر لبيب مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 1999.

**سادسا: المواقع الالكترونية:**

1. حسان زهار، المفكر الجزائري مالك بن نبي يعود من جديد، الجمعة 23 أغسطس 2019، 11:29 Htps//www.gogle.marabi21.com الخميس 13 أوت 12:24

2. – مركز البصيرة للأبحاث والدراسات والخدمات التعليمية مالك بن نبي المجهو في قومه، واد السمار الجزائر https.www.elbassira.org الجمعة 14 أوت الساعة 08:50.

3. الحبيب السعداوي، مالك بن نبي ذلك المغني الذي لا يطرب في حبه https,www,sasapost.com,bennabtanand,magin/alization الجمعة 11 أوت الساعة 10:14

# الفهارس

## فهرس المصطلحات

| | |
|---|---|
| ego | الأنا |
| L'autre | الآخر |
| la société | المجتمع |
| Dialogue | الحوار |
| la colonisation | الاستعمار |
| orientalisme | الاستشراق |
| Renaissance | النهضة |
| Conflit | الصراع |
| Expérience | التجربة |
| Efficacité | الفعالية |
| Communiquer | التواصل |

## فهرس الأعلام:

| | |
|---|---|
| Malik bin Nabi | مالك بن نبي |
| Roger Garaudy | روجيه غارودي |
| Rafaa Al-Tahtawi | رفاعة الطهطاوي |
| Jamal al-Din al-Afghani | جمال الدين الأفغاني |
| Abdelhamid Ibn Badis | عبد الحميد بن باديس |
| René Descartes | رينيه ديكارت |
| Sigmund Freud | سيغموند فرويد |
| Jean-Paul Sartre | جان بول سارتر |
| Heidegger | مازنت هايدغر |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| الإهداء | |
| مقدمة | أ-ج |
| **الفصل الأول**<br>**مدخل مفاهيمي** | 05 |
| تمهيد | 06 |
| المبحث الأول: حول مفهوم الأنا والآخر | 06 |
| أولا: مفهوم الأنا | 06 |
| 1- لغة | 06 |
| 2-اصطلاحا | 07 |
| أ- مفهوم الأنا من المنظور الفلسفي | 07 |
| ب- من المنظور النفسي | 09 |
| ج- الأنا من المنظور القرآني | 09 |
| ثانيا: مفهوم الآخر | 10 |
| 1- لغة | 10 |
| 2-اصطلاحا | 11 |
| أ- مفهوم الآخر من المنظور الفلسفي | 12 |
| ب-من المنظور النفسي | 13 |
| ج- من المنظور القرآني | 14 |
| المبحث الثاني: الأنا والآخر عند مالك بن نبي | 14 |
| أولا: معنى الأنا عند مالك بن نبي | 15 |
| ثانيا: معنى الآخر عند مالك بن نبي | 21 |
| ثالثا: العلاقة بين الأنا والآخر | 27 |
| | |

| | |
|---|---|
| **الفصل الثاني**<br>**البناء الحضاري عند مالك بن نبي وروجيه غارودي** | |
| تمهيد | 32 |
| المبحث الأول: موقف مالك بن نبي من صراع الحضارات بين الأنا والآخر | 33 |
| أولا: مفهوم الصراع | 33 |
| أ–لغويا | 33 |
| ب– اصطلاحا | 33 |
| ثانيا: مفهوم الحضارة | 34 |
| أ– لغة | 34 |
| ب– اصطلاحا | 35 |
| ثالثا: الصراع الحضاري | 37 |
| المبحث الثاني: موقف روجيه غارودي من حوار الحضارات | 46 |
| تمهيد | 46 |
| أولا: نقد الحضارة الغربية: | 46 |
| ثانيا: حوار الحضارات | 48 |
| المبحث الثالث: البناء النهضوي عند مالك بن نبي | 53 |
| أولا: تعريف النهضة | 53 |
| أ– لغة: | 53 |
| ب– إصطلاحا: | 53 |
| ج– النهضة عند العرب: | 54 |
| ثانيا: معوقات النهضة عند مالك بن نبي: | 56 |
| أ– غياب الفعالية: | 56 |
| ب– تحلل شبكة العلاقات الاجتماعية: | 57 |
| ثالثا: سبل النهضة عند مالك بن نبي | 58 |

| | |
|---|---|
| أ- تغيير نفسية المسلم: | 59 |
| ب- بناء شبكة العلاقات الاجتماعية الممزقة: | 59 |
| ج- التوجيه الأخلاقي: | 60 |
| د/ تفعيل الدور الاجتماعي للدين: | 61 |
| هـ/ إرجاع الفعلية إلى العقيدة الإسلامية: | 61 |
| الفصل الثالث: منظور ظلك بن نبي للإستشراق وفكرة القابلية للاستعمار | |
| تمهيد | 65 |
| المبحث الأول: موقف مالك بن نبي من القابلة للاستعمار | 66 |
| أولا: مفهوم الاستعمار | 66 |
| أ- لغة | 66 |
| ب- اصطلاحا | 67 |
| ثانيا: الاستعمار عند مالك بن نبي | 67 |
| 1- أنواع الاستعمار | 67 |
| أ- المؤقت | 67 |
| ب- حالة الضم | 67 |
| 2- أشكال الاستعمار | 68 |
| أ- الاستعمار المتحفظ | 68 |
| ب- الاستعمار الاستبدادي | 68 |
| ثالثا: القابلية للاستعمار | 69 |
| أ- مفهوم القابلية للاستعمار | 70 |
| ب- مظاهر القابلية للاستعمار | 71 |
| ج- المعامل الاستعماري | 72 |
| د- كيفية التخلص من القابلية للاستعمار | 73 |
| هـ- ربط القابلية للاستعمار لمشكلة الأفكار | 73 |

| | |
|---|---|
| المبحث الثاني: مالك بن نبي وقفه من الاستشراق | 75 |
| أولا: تعريف الاستشراق | 75 |
| أ- لغة | 75 |
| ب - اصطلاحا | 76 |
| ج- مفهوم الاستشراق عند العلماء والمسلمين | 76 |
| ثانيا: رؤية بن نبي للاستشراق | 77 |
| أ- تعريف الاستشراق | 77 |
| ثالثا: أهداف الاستشراق | 79 |
| 1- الهدف العلمي | 79 |
| 2- الهدف الديني | 79 |
| 3- الهدف السياسي الاستعماري | 80 |
| رابعا: مجالات الاستشراق عند مالك بن نبي | 81 |
| 1- المجال الحضاري | 81 |
| 2- المجال الاقتصادي | 82 |
| رابعا: موقف مالك بن نبي من الاستشراق | 82 |
| المبحث الثالث: مالك بن نبي وقومه | 83 |
| 1-أسباب تهميش مالك بن نبي وتجاهله من طرف قومه | 83 |
| أ- الاتجاه الفكري والثقافي للدولة الجزائرية بعد الاستقلال | 83 |
| ب- فكرة القابلية للاستعمار | 84 |
| ج- عطاء وإنتاجه الفكري كان بالمشرق | 84 |
| د- الاختلاف مع الحركة الاصلاحية ونضج جمعية العلماء المسلمين | 85 |
| خاتمة | 90 |
| قائمة المصادر والمراجع | 92 |
| فهرس المصطلحات | |
| فهرس الأعلام | |

| | |
|---|---|
| فهرس الموضوعات | |